شيخ الأبطح

أو

أبو طالب

كتاب تاريخي فلسفي علمي

لمؤلفه

السيد محمد علي شرف الدين الموسوي

العاملي

اصدار

مكتبة نينوى الحديثة

طهران ناصر خسرو مروي



شيخ الأبطح

أو

أبو طالب

كتاب تاريخي فلسفي علمي

لمؤلفه

السيد محمد علي شرف الدين الموسوي

العاملي



مطبعة دار السلام في بغداد

رمضان سنة ١٣٤٩ هـ

مقدمة

او

اهداء الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين

كان العرب وغير العرب يسيرون على مناهج شتى واطوار مختلفة فى شؤون معائشهم واديانهم وآدابهم واخلاقهم حسب اختلاف بيئاتهم فكنت ترى فى جزيرة العرب — ودع عنك ماسواها — صنوفا من المعاملات وانواعا من الانكحة مستهجنة وغير مستهجنة وضروباً من قبايح العادات ومناحى من المعتقدات فمن كتابي — يهودى ونصراني — الى وثنى الى صابئى، الى مجوسى، ذلك ماكان شائعاً ثمة من المعتقدات

ولما نطق ناطق الحق — محمد (ص) — وصدع بما أمر بـه مبشراً ونذيراً. قلب هذه المناهج رأساً على عقب وغير مناحى الامم والشعوب ووحد صفوف العرب، معتقداً واخلاقا.

بيد انذلك بعد المتاعب والمشاق واجتياز كل عقبة كأداء



بفضل الحجج البالغة والبراهين الدامغة مشفوعة بحدود الصفاح واسنة الرماح فكان بعد ذلك لصرخـــة صارخ الدين دوى قوى ونبأ عظيم فى انحاء الكرة ولذا ساد الخوف واستولى الهلع والرعب على افئدة الجبابرة فى ممالك الارض ، نعم ذلك لهيبـــة الحق وسر النبوة وعناية الله تعالى فى تأييد دينه

ومن هنا كان النصر حليف (الخلفاء) من بعده (ص) وكان بريد الظفر يسعى بين ايديهم ، وعن يمينهم وشمالهم ، فبأسم النبى (ص) افتتحت ممالك الاكاسرة والقياصرة وبأسمه (ص) تطوع فى جيش الاسلام جماهير الامم المختلفة فاخلصوا فى العمل موحدين ، وبذينه تكون للعرب ملكهم العظيم من حدود الهند الى البحر الاتلانتيكى ــ ش وغ ــ ومن سواحل البحر الاحمر الى سواحل بحر قزوين ــ ش و ج ــ فى سرعة لم يحك التاريخ مثلهـــا فى الفتوحات واكتساح الممالك الشاسعة ومن المقرر تاريخياً انه ماتم لمحمد (ص) ذلك النجاح الباهر والظهور على العرب وهم اولو العزة والقوة والعدد والعدة ، وما تسنى له جمعهم تحت لواء النبوة خاضعين اذلاء صاغرين الا بجهود عمه ابى طالب (ع)

اجل وما أستغل العرب هذا الملك العقيم الا من حقول تلك الجهود ، فابو طالب هو وحده الذى اخذ على عاتقه نصرة النبى (ص) مهما كلفه الامر ، وهو وحده الذى شجعه على نشر مباديه يوم لم يكن له ناصر ولا معين وهو الذى فتـــق له من المضيق طرقا

واسعة للسعي وراء تأييدها ، وهو الذي كلف نفسه اقصى مايتصور في تكليف المرء نفسه في الدفاع عنه (ص) ، وهو الذي بذل كل نفيس ورخيص في سبيل دعوته ، وهو الذي قيضه الله تعالى لمحمد (ص) ليتم به كلمته . ذلك كله بشاهد نظرة واحدة في اي كتاب ترتضيـة من سيرة النبي (ص)

اذاً فابو طالب هو المساعد الاول في وضع الاحجار الاولى في بناء هذا الدين القويم ، وهو صاحب الفضل الاول بعد النبي (ص) في اقامة هذا الصرح العظيم ، وعليه فابو طالب حقيق بان يكون في الدرجة الاولى من ابطال التاريخ واقطابه

اذاً فلماذا لم نجد في محررات المؤرخـين عفى الله عنهم تحت عنوانه سوى كلمات لاتتجاوز الاسطر في ترجمة حاله ؟؟؟ ، ولماذا ماعناهم من امره ماعناهم من امر غيره ممن هو دونه ودونه بدرجات نسباً وحسباً وشخصية وآثاراً ؟؟؟ ويمكنك ان تقف على سر اعراضهم عن هذا الامر فيما بعد ان شاء الله تعالى .

كثيراً ما كان يخطر في البال ان اكتب في هذا الموضوع موضوع ترجمة ابي طالب وفي دفع ماعلق في اذهان البعض من الشبه في حقه ذلك عندما ارى ماله هذا المجاهد الاول من الحقوق على الاسلام عامة وعلى نبينا (ص) بالخصوص ، وما زالت هذه الفكرة تتجسم في نظري كلما سمعت وقرأت ان بعض اخواننا من المسلمين مازالو ولا يزالون يذكرون على المنابر في خطبتي العيدين والجمعة عمى

النبي (ص) حمزه والعباس كما يجب ولا يأتون على ذكر ابي طالب اصلا حتى كأن الله لم يخلقه عندهم (١) على حين انه هو صاحب الفضل على الجميع وهو اولى الدعامتين اللتين قام عليهما بناء هـذا الدين.

ولولا ابو طالب وابنه لما مثل الدين شخصا فقاما

وللعمل بالفكرة واداء لواجب حق المجاهد وتكريما لمقامه السامي أؤلف كتابي هـذا والى كل من النبي (ص) ووصيه امير المؤمنين علي (ع) ارفعه هدية بكلتا يدي خاضعا ضارعا لقدسي مقامهما وعظمته ومن الله استمد المعونة وارجو القبول واسئله تعالى ان يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم نصرة للحقيقة وذودا عن حياض الحق وهو حسبي

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه

١

اسمه عبد مناف وقيل عمران وقيل شيبة والقابه كثيرة منها شيخ الابطح وسيد البطحاء ورئيس مكة، وكنيته ابو طالب وبها اشتهر فهو ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن

---

(١) قال صاحب العرفان الاغر في حاشية العدد الاول من المجلد التاسع عشر ص ٦٠ (أليس من افظع الظلم ان يقال على المنبر اللهم ارض عن عمي نبيك حمزة والعباس ويترك ابو طالب)

مره بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن جزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

لا يختلف النسابون فى نسبه الى عدنان ويختلفون فيما فوق ذلك اختلافا كثيرا فبينما نرى احدهم يعدد بين عدنان وبين اسماعيل (ع) اربعة آباء واذا بالآخر يعد لنا بينهما سبعة آباء وثالث يجعل بينهما اربعين ابا وهلم فاسمع اختلافهم فى الاسماء يقول بعضهم عدنان بن ادد ويقول آخر عدنان بن ميدع وثالث يقول عدنان بن اد وهكذا تجد الاختلاف صاعداً فى سلسلة آبائه حتى تنتهى الى اسمعيل.

كذا رأينا الاختلاف زيادة ونقيصة فى العدد والتغاير فى الاسماء ولم نر مايصح عن النبى (ص) فى تأييد احد الاقوال ولذا وقفنا على عدنان ولم نتجاوزه فى نسب ابي طالب ، والذي نستريح اليه جداً فى الوقوف على عدنان هو مايرويه بن سعد وابن عساكر عن ابن عباس من ان النبى (ص) كان اذا انتسب يقف على عدنان ولا يتجاوزه ويقول كذب النسابون قال الله تعالى (وقروناً بين ذلك كثيراً).

ففى وقوف النبى (ص) على عدنان مع استشهاده بالآية الكريمة حكمة بالغة فى اظهار كذب النسابين مضافا الى تصريحه بالطعن فيهم ولعل سلوكه هذا المنحى فى تكذيبهم كان مما لا بد منه لمقتضيات مقامية فى ذلك الوقت كما لا يخفى

كان من اللازم ان نشير الى شىء من ترجمة ابائه بيد انه لمراعاة الاختصار وللاقتصار على الموضوع اضربنا عن ذلك وعلى اى حال فدونك كتب التاريخ فهم اقطابه على مآثرهم يدورو الخلائق من سنا انوارهم تستمد النور

علماء أئمــــة حكماء يهتدى النجم باتباع هداها



مولده ونشأتـــه

٢

ولد فى ام البلاد العربية البلد الامين ــ مكة ــ قبل ولادة النبى (ص) بخمس وثلاثين سنة الموافق لسنة ٥٣٥ ميلادية ونشأ فى حجر والده عبد المطلب وتخرج على يده.

هنا يلزمنا ان نتعرف بوالد المترجم، ونعرفه للقراء باختصار، فان ذلك يساعدنا على تصور نشأته ــ ان شيبة الحمد (عبدالمطلب) من عرفه التاريخ باستعداده الفطرى وعلمه وحلمه وحكمتـــه وحدثنا عن بروز شخصيته فى قريش، وسيادته فيها سيادة مطلقة فقال: كان عبد المطلب مفزع قريش فى النوائب، وملجــــاها فى الامور، فهو حكيم قريش وحليمها وحاكمها وشريفهــا وسيدهــا كمالا وفعالا غير مدافع، ولقد افصح التاريخ ايضا عن بلوغـــه الغاية فى الحكمة وصفاء النفس، ولذا توصل الى رفض عبـــادة الاصنام، فوحد الله سبحانه وتعالى، وانت ترى اثر صفـــاء نفسه

بعندما تتلو ما اثر عنه من سن السنن الى نزل القرآن با كثرهـا ، وجائت السنة بها جمعاء — منها — الوفاء بالنذر ، وقطع يد السارق والمنع من نكاح المحارم ، والنهى عن قتل الموؤدة ، وتحريم الخمر والزنا ، وحظر طواف العراة فى بيت الله الحرام .

ويظهر لنا من كلماته المأثورة ، انه كان يؤمن بالبعث ، الامر الذى يرشدنا الى ان عبد المطلب وصل الى ابعد نقطة فى العلم والمعرفة ، وكثيراً ما كان يلقى على اولاده دروسا قيمة ، ويأمرهم بالعمل بها — منها — مايعود الى مكارم الاخلاق ، والتحذير من مغبة الظلم وسوء منقلبه ، والنهى عن دنيات الامور ، الى آخر ماهنالك (١)

واذاً فخليق بابى طالب — ذلك الذى درج فى حجر رياسة والده ، وتادب على يده ، وتخرج من كلية ديوانه الحافل بانواع الدروس والتعاليم ، اخلاقية وسياسية — ان يكون المثل الاعلى فى نشأته من حيث الطموح الى رفيعات المراتب ، والتأهب الى مستوى فوق مستوى قومه ، ويجدر به ان يخلف اباه فى جميع مزاياه فى حكمته وتوحيده ، فى منابذته لخرافات قريش الاعتقادية وغيرها

وليس المجد مكتسب ولكن على اعراقها تجرى الجياد

---

(١) نرى زياده على ما ذكرناه عن عبد المطلب فى السيرة الحلبية ج ١ ص ٤ ط مصر وفى بلوغ الارب للالوسى ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ من الطبعة الثانية

مقامه فى قريش وفى انحاء جزيرة العرب

٣

لم يكن مقام ابي طالب فى قريش بأقل من مقام والـــده فيهم ، ولم تكن شخصية ابيه فيهم ، على ظهورهـــا باظهر من شخصيته ، والذى يلوح لنا من السير والتاريخ ان ابا طالب ضارع اباه فى حياته فى السيادة والـكمالات الروحية ، ولذا كان شريك والده فى كفالة النبى (ص) ، ولما توفى والده انفرد وحده فى كفالته (ص) (١) كما انه انفرد بالزعامة المطلقة على حين انه كان لامال له (٢) والمعلوم عن ذلك الوقت وغيره إن المادة الوحيدة للزعامة بعد الاستعداد هى المال ليس الا ، غير ان ابا طالب بمواهبه واستعداده ومـــكارم اخلاقه ومقدرته ملك نفوس قريش وحل من قلوبهم محلا عليـــاً وكان له فيهم المقام الكريم والجاه العظيم فانقادت له الامور واستوى على عرش الحـكومة ، واقام صرح الرياسة على قاعدة الـكفاءة فحسب بدون ان يدعمها بشىء من الفلز الذهبى او القطع المسكوكة ذلك مقام ابى طالب فى قريش

ولا غرابـــة فى ان يكون له فى جزيرة العرب المقام الرفيع والصيت البعيد ذلك لمقامه فى بلد كرمه الله تعالى ، فجعل افئدة من

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٥ طـ مصر (٢) شرح النهج الحديدى ج ٣ ص ٤٦١ ط مصر

الناس تهوى اليه، وحجيج الخلائق يأوى لديه على كل ضامر من كل فج عميق، ولقيامه فى ذلك الحين بما اوجبه على نفسه من ضيافة فقراء الوفود ومساكينهم وابناء السبيل، حيث ينزلهم فى دار رفادته ويزودهم ويروى الوفود كافة من سابل سقايته، ولدى انقضاء ايام الموسم، يصدر الناس اشتاتاً الى الاقطار عن جفان كالجواب وقدور راسيات، ولا شك فى ان الجمع المتفرق فى انحاء الجزيرة عقيب تلك الايادى التى هى طوق المهوادى كان يتلو سور حمده ويرتل آيات الثناء فى الحل والترحال، فى كل كور وبلد

هذا نموذج بعض محامده، وبه وبنحوه يمكنك ان تتصور منزلته ورفعة مقامه فى جزيرة العرب — بذلك كله يعترف المؤرخون، يقول بلوغ الارب ج ١ ص ٣٢٤ ط ٢ كان ابو طالب حاكم قريش وسيدها ومرجعها فى الملمات، ويقول الحديدى فى شرح النهج ج ٣ ص ٤٦١ ط مصر — نحو ذلك وان السقاية كانت له وكذا فى السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢، وفى تاريخ الخميس ج ١ ص ١٧٧، والسيرة الدحلانية ايضاً ج ١ ص ١٦، ان الرفادة كانت له بعد ابيه، وكذا اعترف المؤرخون بتقدمه فى حال النفس وناهيك بذلك ان سن القسامة (١) فى الجاهلية فى دم عمرو

---

(١) القسامة بالفتح هى الايمان تقسم على اولياء القتيل اذا ادعوا الدم يقال قتل فلان بالقسامة اذا اجتمعت جماعة من اولياء القتيل فادعوا على رجل انه قتل صاحبهم وكان معهم امارة غير البينة فحلفوا خمسين يميناً ان المدعى

ابن علقمة فاثبتها السنة فى الاسلام، وحرم الخمر على نفسه فيها فجاء بذلك القرآن

حياتـــه العائلية

٤

١ — زوجته

هى فاطمة بنت اسد بن هاشم، تجتمع فى سلسلة النسب مع ابى طالب فى هاشم ولم يذكر التاريخ له من الزوجات سواها

(حليتها) كانت فاطمة بنت اسد من فضليات الهاشميات، بزغت فى عصرها شمساً فى سماء الكمال تتنقل فى ابراجه

شرف حسب، فكرم محتد، فمكارم اخلاق، فـــذكاء قلب، فرجاحة حجى فطهارة نفس، فجمال ذات، ففضيلة صفـــات، تلك حلية هذه السيدة الجليلة ولذا اختارها سيد قريش ولم يستبدل بها سواها مدة حياته

ولنذكر مفتتح حياته السعيدة معها — تقول نسخة الخطبة — قال ابو طالب. «الحمد لله رب العالمين، رب العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم الذى اصطفانا اعلاماً وسادة، وعرفاء

عليه قبل صاحبهم وهؤلاء الذين قسمون على دعواهم يسمون قسامة ايضا فهى مشترك لفظى فى المعنيين، وقد جاء استحلاف المدعى هنا على خلاف سائر الدعاوى للنصوص فى خصوص المقام، وللقسامة فصل استوفى الكلام فيه فى الفقه فى اثناء كتاب القصاص

خلصا وقادة ، وحجبة بها ليل اطهار من الخنـا والريب ، والادى والعيب ، واقام لنا المشاعر ، وفضلنا على العشائر ، نخب ابراهيم وصفوته ، وزرع اسماعيل وقد تزوجت فاطمة بنت اسد ، وسقت المهر ، وانفذت الامر فاسالوه واشهدوا » فقال اسد زوجناك ورضينا بك ،

واولم ابو طالب سبعة ايام متوالية ينحر فيها الجزر ، وفى ذلك يقول امية بن السلط

اغمرنا عرس أبى طالب   وكان عرسا لين الجانب
اقراؤه الضيف بأقطارها   من رجل خف ومن راكب
فنازلوه سبعة احصيت   ايامها للرجل الحاسب

اغفل اهل السير والمؤرخون الكثير من احوال هذه السيدة ولم يذكروا لنا غير اليسير منها ، ونحن اداء لحقها الواجب ، والماما باطراف الموضوع من جميع الجهات نذكر من احوالها ما استفدناه من بطون دفاتر شتى ، ورشحات محابر عديدة

*. اسلمت فاطمة بنت اسد بعد عشرة من المسلمين ، فكانت الحادية عشرة ، فهى من السابقات الى الاسلام ، ولما انزل الله سبحانه وتعالى (ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الاية دعا النبى (ص) النساء الى البيعة فكانت هى اول امرأة بايعت رسول الله (ص) ، وبقيت بعد ابى طالب ، فهاجرت الى المدينة جليلة فى المؤمنات مقدرة صالحة تقية ، يزورها النبى (ص) ويقيل

فى بيتها، وقد حضرت بدرا فى قطار حرم النبى (ص). ثم مرضت فاوصت النبى (ص) فقبل وصيتها. وتوفيت فى السنة الرابعة من الهجرة فى المدينة فصلى رسول الله (ص) عليها وتولى دفنها بنفسه، والبسها قميصه واضطجع فى قبرها، وتمرغ به وبكى قائلا جزاك الله من ام خيرا لقد كنت خير ام فقال له بعض الحسدة يارسول الله مارأيناك صنعت باحد ماصنعت مع هذه المرأة، فقال انه لم يكن احد بعد ابى طالب ابر بى منها انى انما البستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها فى قبرها ليهون عليها ضغط القبر *

٢ — عقبه

اعقب طالباً، وعقيلا، وجعفراً، وعليا (ع)، وهو اصغرهم سنا، وكان بينه وبين جعفر عشر سنين، وهكذا كان بين جعفر وعقيل وعقيل وطالب ومن الاناث ام هانى، والكل من السيدة الجليلة فاطمة بنت اسد

٣ — كفالته للنبى (ص)

من نعم الله تعالى على هذه العائلة، ومن مننه على هذا البيت بيت

---

* نستفيد مابين هاتين الرادتين من مجموع كتب عديدة وهى، الاصابة ج ٤ ص ٣٨٠، ط ١ فى مصر والاستيعاب ج ٢ ص ٧٧٤، ط ١ فى حيدر اباد دكن، وشرح النهج الحديدى ج ١ ص ٥، ط دار الكتب العربية الكبرى فى مصر، وفصول ابن الصباغ ص ١٥، ط سنة ١٣٠٣ فى طهران، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٥٢٦ ط سنة ١٣٠٢ ومقاتل الطالبين ص ٤، ط سنة ١٣٠٧ فى طهران

ابى طالب ان اضاف الى عائلة ابى طالب انسان الهداية ، وصاحب شرف العرب ، النبى العربى ذلك لما توفى جده عبد المطلب ، وكان ذلك حوالى سنة ٥٧٨ ميلادية وعمر النبى (ص) اذ ذاك ثمان سنين فانفرد ابو طالب فى كفالة (ص) ، وضمه الى كنفه واحله محلا عليا من قلبه ، واصغى اليه بوداده ، وقدمه فى سائر الشؤون على كافة اولاده . (١)

ولذا كانت تصنع معه (ص) فاطمة بنت اسد ، تخصه بكل اعتناء ، وتفضله بالحباء وتحنو عليه بافضل ما تحنو والدة على ولد ، فنشأ (ص) بين هذه العائلة فى حجرى ابى طالب وبنت اسد ، وشب فى ذلك البيت الرفيع العماد الذى سبق بعنايته تعالى ان يخرج منه الهدى والنور للعالم بأسره ، فياله من بيت شرف الله تعالى مقامه ، واقام دعامه واجل شأنه وفضله على بيوتات العالمين ، وما اطيب نشره ، واى غرسه ، منه عبق طيب النبوة فعطر المشرق والمغرب ، وفيه نما غرس الوصاية ، وبه اكمل الله الدين واتم النعمة

فلك ابا طالب سعادة الابد ، فى ابن اخيك نبى العالم وعظيم بنى آدم ولك الغبطة فى اهلك وولدك ، ابطال السيف والقلم واقطاب رحى العلم والحكم ، فانت بما اوتيت من هذه السعادة جدير بأن يخلد ذكرك ما خلد الدهر ، وما هتف

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٢١٣

باسم محمد (ص)، وما تلى قرآنه قانون الابد وتبيان كل شئ.

مهماته وآماله

٥

نذكر من مهماته اهمها ذكرا واجلها منفعة لبنى الانسان واعظمها قدرا

كانت مهمته الوحيدة حينما انفرد بكفالة النبى (ص) العناية التامة بخدماته (ص) والقيام بواجبها احسن قيام، على حسب ماتقتضيه عقود عمره (ص) ذلك لما آنس منه الاستعداد الذى امتاز به عن سائر البشر، ولما تفرس به مخائل سيادة العالم

— العقد الاول —

عنى فى تربيته الجسدية جداً، كما يظهر لنا من السير وفى ذلك العقد ظهر من مواهب محمد (ص) ما بهر شيوخ الحنكة، وادهش فلاسفة العالم ولذا كانت امال ابى طالب تزداد فيه (ص) شيئا فشيئا الامر الذى كان من شأنه ان يستأنف نشاطه فى النهوض بمهمات النبى (ص) والقيام بخدماته

— العقد الثانى —

لما بلغ النبى (ص) الثانية عشر من سنى عمره، سار به ابو طالب الى الشام (١) ليوقفه على احوال الامم المختلفة، والاقطار

(١) طبقات بن سعد، ج ١ ص ٧٦

الناثية المغايرة لاقليم قطره ، تلك اصول التربية والتعليم ، والنبى (ص) وان كان فى غنية عن هذا بما اتاه الله من فضله ، غير ان اباطالب اراد القيام بواجب التربية

ان فى سفر كمثل هذا السفر لمثل محمد (ص) المسلم الكثير الفوائد الجمة ، معرفة احوال قرى ومدن ، ومواقع جغرافية ، ومختلفات سير امم وشعوب . واطلاع على عادات ومعتقدات ، ومحور سياسة ملوك ، وميول رعايا ، واستكشاف آثار امم ماضية وقرون خالية ، وهذا ونحوه مدعاة للاستبصار والنظر والامعان بالفكر .

فى ذلك السفر الميمون ، فتحت فى وجه ابى طالب الامال الجسام ، ذلك بما سمعه من الرهبان امثال بحيرا ، مما سيكون لابن اخيه من الشأن والعظمة . فى الارض والسماء ، وبما شاهده بأم عينه مما حصل لابن اخيه (ص) من خوارق العادات نظير تظليل الغمام له وبهذا تحقق ماكان يسمعه قبل ذلك ، من ابيه عبد المطلب فى شانه (ص)

ولما بلغ النبى (ص) الرابعة عشر احضره ابو طالب معه فى حرب فجار البراض (١) وهى حرب هاجت بين كنانة وبين قيس فعاونت قريش كنانه ، ذلك ليريه كيف تكون منازلة الاقران ومقارعة الفرسان .

(١) السيرة الحلبية ، ج ١ ص ١٢٢ ط مصر

— العقد الثالث —

لما بلغ النبي (ص) الخامسة و العشرين كان هم ابي طالب الوحيد جعله مستقلا فى الادارة وطفق يرتأى ويفكر فى ايجاد ثروة له (ص) تصلح لادارة شؤونه، ليكون مكفو المؤونة فى المعاش فيتفرغ (ص) للسعى وراء ماكان يتوسمه به ابو طالب من سيادة العالم بتقلده للوسام الالهى وضرورى ان الثروة اعظم معين فى النوائب وعند ملاقات الشدائد والاهوال

بعد النظر العميق رأى ان احسن شئ لما يحاوله واقربه انتاجا ان يوجد صلة تجارية ومشاركة فى الارباح بين محمد (ص) وبين خديجة بنت خويلد سيدة القرشيات فى عصرها حسبا ونسبا وهديا وكمالا ومالا وجمالا، ذات الثراء والخول والاماء، والتجارة الواسعة فى ذلك المحيط، وكان نظر ابى طالب فى ذلك وجل قصده انتقال ابن اخيه (ص) مع خديجة من الصلة التجارية الى الصلات الروحية فتكون خديجة وما ملكت يدها فى قبضته (ص)، لما يعلمه يقينا من ان السيدة الجليلة، سوف يشغل فراغ قلبها حب محمد (ص) بما تراه منه مضافا الى ماتسمعه عنه فى المعاشرة والمعاملة من كمال ذاته، ترى من طلعه وغرة جبين، وصدق حديث، وسماحة اخلاق، وسماحة نفس، وعز عشيرة وطيب سريرة، وحسن سمعة، وجميل احدوثة، ووفور حجى وقدسى ذات، وتفرد صفات

تلك نظرية ابى طالب، فلم يرد ان يكون مثل ابن اخيه (ص)

خاطبا، بل اراد ان يكون مخطوبا ، ولذا اعد الاسباب لتزويجه وثرائه فى آن واحد ، واتى الامور من ابوابها فى مهماتـه له (ص) شأن الوالد الشفيق الساهر على مصلحة ولده

ولم يذكر ابو طالب لابن اخيه الصادق الامـين مامر بخاطره وما فكر فيه وما دبر ، وانما جاءه بطريق آخر هو عين الواقع على ماتقتضيه الحكمة والمتانة

يقول فى السيرة الحلبية — ج ١ ص ١٣٢ — ان اباطالب قال للنبى (ص) يابن اخى انا رجل لامال لى وقد اشتد الزمان فى القحط، والحت علينا سنون منكرة — شديدة الجدب — وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه ابل قومك قد حضر وقت خروجها الى الشام التجارة ، وهذه خديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى ابلها فيتجرون لها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لذلك لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لاكره ان تأتى الشام واخاف عليك من يهود ، ولكن لانجد لك من ذلك بدا ، فقال له رسول الله (ص) ، فلعلها ترسل الى فى ذلك ، فقال ابو طالب اني اخاف ان تولى هذا العمل غيرك فتطلب امراً مـدبراً فافترقا فبلغ خديجة خبر مادار بينهما فقالت ماعلمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه (ص) ، فقالت انى دعانى الى البعثة اليك مابلغنى من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك وانا اعطيك ضعف

ما اعطى رجالا من قومك ، ففعل رسول الله (ص) ، ولقى عمه ابا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك ، فخرج (ص) بالتجارة الى الشام ومعه عبد لخديجة اسمه ميسرة ، ولما بلغ (ص) بصرى باع السلعة التى خرج بها ، فربح ومن معه ربحا ماربح النجرة قط مثله بيمن طلعته (ص) . وشاهد ميسرة اموراً حصلت للنبى (ص) هى من خوارق العادات لايكون مثلها الا لمن خصه الله بالعناية التامة ، وفوق ذلك سمع من الرهبان فى طريقه التبشير بنبوته (ص) . فحدث ميسرة خديجة بذلك كله وكانت خديجة رأت بأم عينها بعض ماحدث به ميسرة ، الامر الذى سجل صدق حديث ميسرة ، وبهذا تم لابى طالب مادبر ، حيث وقعت هذه السيدة الجليلة بهوى النبى (ص) ، ولذا اضحت حائرة بين عاملين قويين ، دافع ومانع ، يدفعها الشوق المبرح لعرض نفسها على صاحب الفضيلة ، ويمنعها الحياء من ان تخطب لنفسها حتى اذا سأمت المقام والحالة هذه ورأت ان مثل بن عبد الله (ص) يخطب ولا يتحاشى من خطبته بالرغم عن معاكسة العادات والمراسم ، ومر بخاطرها ان فى الهيبة الخيبة وفى الحياء الحرمان ، ولذا افضت بسرها لاحدى صديقاتها وكانت تثق بها وصديقتها هذه نفيسة بنت منية ، قالت لها يانفيسة هل لك ان تستعلمى لى خفية حال محمد (ص) فلعله يرغب فى مثلى ، فقالت نفيسة حباً وكرامة وتحملت نفيسة هذه الرسالة بنصح فجاءته (ص) وقالت (١) مايمنعك

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٧

ان تتزوج قال (ص) مابيدى ما اتزوج به فقالت فان كفيتك ذلك ودعوتك الى المال والجمال والشرف والكفاية الا تحب ، قال فمن هي قالت خديجة قال وكيف لى بذلك قالت بلى وانا افعل فرجعت نفيسة ميمونة النقيبة فى هذه الرسالة تحمل شرف الابد لخديجة فارسلت خديجة تعين له (ص) الساعة التى يأتى فيها للخطبة وارسلت لذوى رحمها فاحضرتهم ، وجاء رسول الله مع جمع من اعمامه وفيهم سيدهم ابو طالب ، وهو الذى زوجه

فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل وضئضئ معد ، وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعله لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا حكام الناس ، ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لايوازن به رجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا ، وان كان فى المال قل ، فان المال ظل زائل ، وامر حائل ، وعارية مسترجعة ، وله والله بعد هذا نبأ عظيم ، وخطر جليل ، وقد خطب اليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ماعاجله وآجله اثنا عشر اوقية (١) ونشا

فقال ورقة بن نوفل وانتم والله اهل ذلك كله لاينكر العرب فضلكم ، ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم ، رغبتنا فى الاتصال

---

(١) الاوقية اربعون درهما والنشا نصف الاوقية اى عشرون درهما وكان ذلك المسمى من الذهب فيكون جملة الصداق خمس مائة درهما شرعيا وذلك يساوي ١٧٥ ليرة عثمانية تقريبا فى عصرنا هذا

بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا على معاشر قريش انى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر — فقال ابو طالب احببت ان يشركك عمها فقـــال عمها عمر بن اسد اشهدوا على معاشر قريش انى انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فاولم رسول الله (ص) ونحر الابل واطعم الناس ، ففرح ابو طالب الفرح الشديد وقال (١) الحمد لله الذي اذهب عنـا الكرب ودفع عنا الغموم ، وكذا بقى ابو طالب بقية العقد الثالث وحتى اواخر العقد الرابع من سنى عمر النبى (ص) مغتبطا به (ص) وبما ساقـه الله اليه من الخير الكثير ، بزواج سيدة القرشيات — ومن باب واذا استطال الشئ قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

لم نتعرض لشئ من احوال هذه السيدة الجليلة التى لها الايادى البيض على الاسلام على ان فى ذلك خروجا عن الموضوع ايضا

كان ابو طالب يزداد سرورا كلما ازدادت منزلة محمـد (ص) فى نفوس قريش ، غير انه بفارغ الصبر كان ينتظر يوما يعطى به محمد (ص) الوسام الالهى ، يوما يهبط عليه النـاموس الاكبر من لدن جبار السموات والارض ويعقد على ذلك اليوم وما بعـده الامال الجسام ليقوم بواجب خدمته ، ويفوز بالسهم الاوفر من نصرته ، ولما كانت السنة الاخيرة من — العقد الرابع — تلك سنة اربعين من سنى عمره (ص) اكرمه الله بالرسالة فى حراء بواسطـة

---

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٢٩

السفير جبريل حيث ناداه يامحمد انا جبريل وانت رسول الله لهذه الامة ثم تتابع عليه الوحى.

— العقد الخامس —

عندما امر الله محمداً (ص) باظهار دعوته، وذلك فى السنة الرابعة من البعثة قال (ص) لعمه العباس — كما فى غاية السؤول عن ابراهيم الحنبلى باسانيد عديدة — ان الله تعالى امرنى باظهار امرى فما عندك فقال له العباس يابن اخى تعلم ان قريشاً اشد حسداً لوالدك وان كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطماء والداهية العظمى ورمينا عن قوس واحد لكن قرب الى عمك ابى طالب فانه اكبر اعمامك ان لاينصرك لايخذلك ولا يسلمك، فاتياه فلما رآهما ابو طالب قال ماجاء بكما فى هذا الوقت، فاخبره العباس بالحال فنظر اليه ابو طالب وقال يا ابن اخى انك الرفيع كعبا، والمنيع حزبا، والاعلا ابا والله لايسلقك لسان الا سلقته السن جداد واحتدمته سيوف حداد والله لتذلن لك العرب، ولقد كان ابى يقرأ الكتب جميعا، ولقد قال ان من صلبى لنبيا لوددت انى ادركت ذلك فامنت به، فمن ادركه من ولدى فليؤمن به الخبر،

وقد ذكر عند تفسير وانذر عشيرتك الاقربين، ان النبى (ص) لما قام ليدعو اسرته عارضه ابو لهب كما هو مذكور فى السير جمعاء فقال ابو طالب اسكت يااعور مانت وهذا، ثم قال للنبى (ص) قم ياسيدى وتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك فانك الصادق الصديق.

حينما اظهر الدعوة (ص) وسفه احلام قريش فى عاداتها ومعتقداتها رمته قريش عن قوس واحد واخذوا يجتمعون ويتفرقون للنظر والرأى فى اقناعه (ص) بالرجوع عن سبيل الهدى، وعملوا لذلك اعمالا ذكرها التاريخ — منها — سعيهم الى دار ابى طالب مرارا فى طلب اسكاته (ص) عن تعقيب مانطق به، وكان ابو طالب اذ ذاك يردهم حسبما تقتضيه الحكمة من شدة ولين، وبذلك علموا ان ابا طالب سيمنع محمداً (ص) منهم بكل قواه مادام فيه عرق ينبض، وهالهم مارأوه من دهائه فى ترويج دعوته (ص) من حيث يخفى بما اوتى من المواهب وما مر عليه من التجارب فى معترك هذه الحياة

تحققوا ذلك كله بما شاهدوه منه فى مختلفات الجلسات وسمعوه عنه فى شتى الآنات فتارة يأمر ابنه جعفر بالصلواة حيث رأى محمداً (ص) يصلى والى جانبه على (ع) فيقول لجعفر صل جناح ابن عمك — كما اخرجه الحافظ بن حجر فى الاصابة (١) واخرى يقول لاخيه حمزة حينما اسلم

فصبراً ابا يعلى على دين احمد وكن مظهراً للدين وفقت صابرا

وثالثة يخاطب محمداً (ص) بعد مجئ القوم بصدد الاستعانة به على اسكاته (ص) عن امر الدعوة فيقول

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا

---

(١) ج ٧ ص ١١٢ ط مصر سنة ١٣٢٥

الى غير ذلك مما يطول تعداده ، لذلك كله اشتد الامر واحتدم وتوترت العلائق بين ابي طالب والقرشيين العتات ، فاخذوا يؤذونه بايذاء محمد (ص) بكل طريق وحين ظهر الاسلام في القبائل كبر ذلك على قريش فتضاعف اذاهم ، واشتوروا فيما بينهم على قتل محمد (ص) علانية ولذا جمع ابو طالب بنى هاشم وبنى المطلب وامرهم ان يدخلوا برسول الله (ص) الشعب ليكون بذلك امنع من جبهة الاسد ، وحين رأت قريش ذلك اجمع رأيهم على ان يكتبوا عهـــدا بتوقيع الجميع عـــلى ان لا يجالسوا بنى هاشم والمطلب وان يضيقوا عليهم بمنعهم من حضور الاسواق وان لا يبايعوهم ولا يناكحوهم ولا يقبلوا لهم صلحا ابداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله (ص) فكتبوا هذه المعاهدة ووقع القوم عليها وعلقوها فى الكعبة ، فمكث بنوا هاشم فى حصار الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين ، فاصابتهم ضائقة فى العيش شديدة وقد ابلى ابو طالب (ع) وخديجـــة (ع) البلاء الحسن فى تهيئة المؤن والاقوات الضرورية ، مدة الحصار كلها ، ولما أراد الله ان يكشف الغم عن رسول الله (ص) وعن اسرته المرابطة المجاهدة بين يديه حيث لا ناصر سواهم ولا معـــين سلط على معاهدة قريش الارضة فاكلتهـا ، واوحى الله الى رسوله بالامر فاخبر عمه ابا طالب ، فاقبل ابو طالب عـلى قريش وهم فى انديتهم واخبرهم بما صنع الله فى صحيفتهم ، وان محمداً (ص) اخبره بذلك ثم قال ان كان الحديث كما يقول ابن اخى فافيقوا وان لم

ترجعوا فوالله لانسلمه حتى نموت عن آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقالوا قد رضينا بما تقول، ثم فتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما اخبر به الصادق الامين ، وعندما رأت قريش صدق ماجاء به ابو طالب قالوا هذا سحر ابن اخيك، وزادهم ذلك بغياً وعتواً وعدواناً ، فقال لهم ابو طالب علام نحبس ونحصر وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة والاساءة، ثم دخل بين استار الكعبة ودخل معه بنو هاشم قائلين اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل ما يحرم عليه منا، ثم انصرفوا الى الشعب .

قال ابن الاثير فى الكامل — ج ٢ ص ٣٦ — قال ابو طالب فى امر الصحيفة واكل الارضة مافيها من ظلم وقطيعة رحم ابياتا منها :

وقد كان فى امر الصحيفة عبرة — متى مايخبر غائب القوم يعجب
محى الله منها كفرهم وعقوقهم — وما نقموا من ناطق الحق معرب
فاصبح ماقالوا من الامر باطلا — ومن يختلق ماليس بالحق يكذب

وانتذ مشى فى نقض الصحيفة — المعاهدة — نفر من قريش وهم هشام بن عمرو بن الحرث، وزهير بن امية بن عمة النبى (ص) عاتكة ، والمطعم بن عدى وابو البخترى بن هشام، وزمعة بن الاسود، وتم لهم ذلك بالرغم عن معاطس ابى جهل واضرابه الذين اصروا على استمرار قريش فى المقاطعة لبنى هاشم والمطلب

، وارتفعت الشدة عن النبي (ص) وذوي رحمه فعادوا الى ما كانوا عليه قبل الحصار كما هو مذكور على التفصيل في السير والتاريخ فراجعه .

ان من مواقف ابي طالب الرهيبة في ارهاب قريش وكبح جماحهم وقمع شوكتهم وارجاعهم بالقواسر الفعالة والقوة عما كان قنابج في افئدتهم من آن الى آخر من اغتيال النبي (ص) ، مانقله عبد الرحمن بن محمد بن الجوزي المحدث البغدادي عن الواقدي(١) قال قال الواقدي كان ابو طالب لا يغيب صباح النبي (ص) ومساءه ، وكان يحرسه من اعدائه ويخاف ان يغتالوه فلما كان ذات يوم فقده فلم يره وجاء المساء فلم يره واصبح فطلبه في مضانه فلم يجده فجمع ولده وعبيده ومن يلزمه في نفسه فقال ان محمداً فقد في امسنا ويومنا هذا ولا اظن الا ان قريشاً قد اغتالته وكادته ، وقد طلبته فلم اجده وقد بقي هذا الوجه ماجئته وبعيد ان يكون فيه ، ثم اعطاهم السكاكين وفيهم من عبيده عشرون رجلا ثم قال لهم ليمض كل رجل منكم وليجلس الى جنب سيد من سادات قريش فمضوا وشحذوا سكاكينهم ومضى ابو طالب في الوجه الذي اراده ومعه رهط من قومه وهو يقول يالها من عظيمة ان لم نواف محمداً فوجده

---

(١) وقد ذكر هذا الموقف المشهور بتعبير اخصر مما نتلوه هنا كاتب الواقدي محمد بن سعد في الجزء الاول من طبقاته الكبيرة ص ١٣٥ ط (١) في ليدن

فى اسفل مكة قائما يصلى الى جانب صخرة فوقع عليـــه ابو طالب يقبله واخذ بيده ، وقال يا ابن اخي سر معي فاخذ بيده وجاء الى المسجد وقريش فى ناديهم جلوس عند الكعبة فلما رأوه قد جاء ويده فى يد النبى (ص) ، قالوا هذا ابو طالب قد جائكم بمحمد وان له لشأنا ، فلما وقف عليهم والغضب يعرف فى وجهه قال لغلمانه ابرزوا ما بأيديكم فابرز كل واحد منهم ما فى يده فلما رأوا السكاكين قالوا ما هذا يا ابا طالب قال هو ما ترونه انى طلبت محمداً (ص) فما رأيته منذ يومين فخفت ان تكونوا كدتموه ببعض شأنكم فامرت هؤلاء ان يجلسوا حيث ترون وقلت لهم ان جئت وما محمد معى فليضرب كل واحد منكم صاحبه الذى الى جنبه ولو كان هاشميا فقالوا وهل كنت فاعلا ؛ قال اى ورب الكعبة ، فقال له المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وكان من احلافه لقد كدت ان تأتى على قومك قال هو ذاك فاتقت قريش اغتياله (ص) منذ ذلك اليوم ورجعت على ابى طالب بالاستعطاف وهو لا يحفل بهم ومضى وهو يقول :

اذهب بنى فمـــا عليك مخافة   وابشر بذاك وقر منك عيونا

ومن ذلك ما عن الاصبغ بن نباتة عن على (ع) قال قال على (ع) مر رسول الله (ص) بنفر من قريش وقد نحروا جزورا فلم يسلم عليهم فلما انتهى الى دار الندوة قالوا يمر علينـــا يتيم ابي طالب ولم يسلم فايكم يأتيه فيفسد عليه صلاه ، فقـــال عبد الله بن الزبعرى

انا افعل فاخذ من فرث الجزور ودمه وانتهى به الى النبي (ص) وهو ساجد فالقاه عليه فملأ به ثيابه فانصرف النبي (ص) حتى اتى عمه ابا طالب فقال ياعم من انا فقال ولم يابن اخي فقص عليه القصة، فقال واين تركتهم، فقال في الابطح فنادى في قومه يا آل عبد المطلب، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف فاقبلوا عليه من كل مكان ملبين، فقال خذوا سلاحكم واخذ سيفه، ثم توجه نحو القوم، فلما رأوه وقد سل سيفه جعلوا ينهضون، فقال والله لئن قام احد جللته بسيفي، ثم قال يا محمد ايهم آذاك فاشار بيده (ص) الى ابن الزبعرى فدعا به ابو طالب فوجأ انفه حتى ادماها، ثم امر حمزة بأن يأتيه بفرث ودم فأمرهما على رؤوس الملأ، ثم قال يا بن اخي ارضيت قد سالت من انت، انت محمد بن عبد الله وذكر النسب، ثم قال انت والله اشرفهم حسبا وارفعهم منصبا، يامعشر قريش من شاء منكم ان يتحرك فليفعل انا الذي تعرفوني وانشا يقول ويؤمي بيده الى النبي (ص)

انت النبي محمد ... قرم اغر مسود (١)

لمسودين اكارم ... طابوا وطاب المولد

نعم الارومة اصلها ... عمرو الخطيم الاوحد

هشم الربيكة في الجفا ... ن وعيش مكة انكد

فجرت بذلك سنة ... فيها الخبيزة تثرد

---

(١) ذكر هذه الابيات ايضا الحديدي في شرح النهج ج ٣ ص ٣١٥

ولنا السقاية للحجيج بها يماث العنجد
والمأزمان وما حوت عرفاتها والمسجد
انى تضام ولم امت وانا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى فيها نجيع اسود
وبنو ابيك كأنهم اسد العرين توقد
ولقد عهدتك صادقا في القول لا تتزيد
مازلت تنطق بالصواب وأنت طفل امرد

ولقد سطر التاريخ لابي طالب ذبه ودفاعه عن مستضعفي المسلمين وذكر غضبه الشديد عند ايذاء قريش لهم ، وروى اشعاره في ذلك

يقول محمد بن اسحق في كتاب المغازي ان ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الاسلام هرب منهم فاستجار بابي طالب وقد كانت والدة ابي طالب مخزومية فاجاره ، فمشى اليه رجال من بني مخزوم وقالوا يا ابا طالب هبك منعت منا ابن اخيك محمدا فما بالك ولصاحبنا تمنعه منا ، قال انه استجار بي وهو ابن اختي وان انا لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي ، فاكثروا النزاع وارتفع الصوت واللغط فخافوا الفتنة فانصرفوا

ويقول مجمع التواريخ ان قريشا لما رأت ضعفها عن النبي (ص) لنصرة ابي طالب له اخذ يعذب كل قوم من عندهم من المؤمنين ويحثونهم على الرجوع عن دينهم ، وابو طالب يناجز قريشا

على ذلك

وهاك ابياتا قالها ابو طالب وقد غضب لعثمان بن مضعون لما ظلمه المشركون

أمن تذكر دهر غير مأمون ... اصبحت مكتئبا تبكي لمحزون (١)

أمن تذكر اقوام ذوي سفه ... يغشون بالظلم من يدعى الى الدين

لا ينتهون عن الفحشاء ما امروا ... والغدر فيهم سبيل غير مأمون

الا يرون اذل الله جمعهم ... انا غضبنا لعثمان بن مضعون

اذ يلطمون ولا يخشون مقلته ... طعنا دراكا وضربا غير موهون

فسوف نجزيهم ان لم نمت عجلا ... كيلا بكيل جزاء غير مغبون

او ينتهون عن الامر الذي وقفوا ... فيه ويرضون منا بعد بالدون

ونمنع الظلم من يبغي مضامتنا ... بكل مطرد في الكف مسنون

ومرهفات كأن الملح خالطها ... يشفى بها الداء من هام المجانين

حتى تقر رجال لا حلوم لها ... بعد الصعوبة بالاسماح واللين

او يؤمنوا بكتاب منزل عجب ... على نبي كموسى او كذي النون

ياتي بامر جلي غير ذي عوج ... كما تبين في آيات ياسين

اسلامه ، السر في كتمه

منزلته عند الله تعالى

٦

علم اهل القبلة كافة ، ان اهل البيت (ع) مجمعون على اسلام

(١) ذكر الحديدي جملة منها في شرح النهج ج ٣ ص ٣١٣

ابي طالب ، واجماع اهل البيت حجة بالغة وآية محكمـــة فانهم معصومون منزهون عن كل ريب بنص القرآن المجيد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)

على ان في شعر ابي طالب الدلالة الصريحة على اسلامه وقد وقفت على جملة منه ومن نثره وستقف عـــلى جمل اخرى تدعم ماقلناه ، غير ان ابا طالب تستر في اسلامـــه عن قريش لمصلحة الاسلام وللقيام بخدمات سيـــد الانام ، ولو ان ابا طالب جاهر بمعتقده امام عتات قريش لهانت عليهم اهانته ، ولخفروا ذمامه في جميع ادواره مع النبي (ص) ، ولرموه عن قوس واحـــد كما رموا محمد (ص) وقد كانت له المنزلة السامية في نفوسهم قبل اظهـار الدعوة ، وهذا التستر من الضروريات الاولية لمثل ابي طالب وهو الذي حنكه الدهر وعلمته التجارب وراضته سياسة العرب وافهمته من اين تؤكل الـكتف ، هذا هو السر في كتمه الاسلام وتظاهره بحياطة محمد (ص) لصرف كونه ابن اخيه ليس الا ، وربما اظهرت لهم عقيدته وتبينت على اسلات لسانه في النظم والنثر بنوع من الاجمال في موارد ليبقى له في توجيه كلامه عند قريش مجال ، ولم يكن هذا التكتم والابداء الا لما توحيه اليه فطنته وتقتضيه حكمته في متفرقات الاحوال بالنظر لمصلحة النبي (ص)

ان لابي طالب المكان الرفيع والجاه العظيم ، ومقعد صدق عند مليك

مقتدر ولم ينل ذلك الا بكفاية واستحقاق ، اهل لذلك ، هو اهل ومحل ، لخدماته لقوة ايمانه واسلامه . فان امير المؤمنين (ع) يقول (ان ابي لو شفع في كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله تعالى) ويقول الصادق جعفر (ع) (ان ابا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) واليك ما عن الباقر بن الصادقين (ع) (لو وضع ايمان ابي طالب في كفة وايمان الخلق في الكفة الاخرى لرجح ايمانه) كل ذلك بطرق صحاح معتبرة ، واذن فاسلام ابي طالب على خلاف ما يظنه ذوو الاغراض والتعصب الممقوت ، او الاغبياء المقلدة لمن سلف ممن استخدمتهم السياسة الاموية واستهواهم زبرجها ردحا من الدهر وللكلام صلة قبيل تزييف شبه المشككة في اسلامه ، على ما سيمر عليك قريبا انشاء الله تعالى

مكانته الادبيـــة

٧

١ - صناعتا النظم ، والنثر -

قد وقفت على شيء من نظمه ونثره ، وسنوقفك على جمل اخرى في محلها - انشاء الله تعالى - مما اتفق عليـــه مؤرخو الاسلام من الخاصة والعامة وثمة ترى ان له اليد الطولى والقدح المعلى في تينك الصناعتين ، ترى عسجدية معنى ، ودرية نظم ، ورصانة شعر ، فحسن سبك ، وجودة حبك ، فلطف اسلوب .



٢ ـــ اخلاقه

يمكننا ان نفهم انه كان على جانب عظيم من الاخلاق من مكانته العليا فى قريش واجتماعهم على سيادته، وسيطرته على اجسامهم وافئدتهم، وهذا لا يكون الا بمكارم الاخلاق. (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وفوق ذلك قد ضرب لنا ابو طالب المثل الاعلى فى مكارم الاخلاق، ذلك بمتابعته ومبايعته على الموت لمن نشأ فى بيته بمنزلة احد ولده محمد (ص)، ولم تأخذه العزة فى النزول على حكم ابن اخيه فى مطاردته فى الليل والنهار فى سبيل حياطته والمحافظة عليه، فى امتثال اوامره ونواهيه، حتى لفظ نفسه فى النفس الاخير من حياته هذا وهو شيخ الابطح وسيد قريش

اذن فلنقل بحق ان النبي (ص) لم ير اكرم من ابى طالب اخلاقا ولا اطلق وجهاً، ولا اطيب عنصرا، ولا احلى معاشرة، ولا احمى جوارا، ولا احفظ ذماراً، ولا أسخى كفا، ولا احمى انفا ولا اعز جانباً، ولا اصدق لهجة، فسبحان من خلقه مثلا فى المكارم، وسواه معدنا فى المراحم.

٣ ـــ شعره

نحن اذا صرفنا النظر عما اختلف فى نسبته اليه من المنظوم ففيما هو المتفق عليه كفاية، فمن ذلك قوله

خليلى ما اذنى لاول عاذل ... بصغوا فى حق ولا عند باطل (١)
خليلى ان الرأى ليس بشركة ... ولا نهنه عند الامور البلابل
ولما رأيت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا اظنة ... يعضون غيضا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول
واحضرت عند البيت رهطى واخوتى ... وامسكت من اثوابه بالوصائل
قياماً معا مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يقضى خلفه كل نافل
اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل

---

(١) هذه الابيات من قصيدة طويلة تربو على مائة بيت تجدها مذكورة مع شرحها فى كتاب لب لباب لسان العرب ، وذكرها ايضا عبد الملك بن هشام فى السيرة ج ١ ص ١٦٧ ط ٢ فى مصر ونقلها ناسخ التواريخ ، واورد ابياتا منها الالوسى فى بلوغ الارب ج ١ ص ٣٠٩ ط اولى ، وتجد عدة ابيات منها فى شرح النهج الحديدى ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٦ ط مصر ، واتى على ابيات منها العلامة الدحلانى فى اسناه ص ١١ : وقال وفى القصيدة ابيات كثيرة تدل على ايمانه وتصديقه ثم قال قال بن كثير هذه القصيدة بليغة جدا لا يستطيع ان يقولها الا من نسبت اليه وهى افحل من المعلقات السبع وابلغ فى تأدية المعنى

ونصره حتى نصرع دونه ونذهل عن ابنائنا والحلائل
وحتى نرى ذا الردع يركب ردعه من الطعن فعل الانكب المتحامل
وينهض قوم بالحديد اليكم نهوض الروايا من طريق جلاجل
وانا وبيت الله من جد جدنا لنلتبس اسيافنا بالاماثل
بكل فتى مثل الشهاب سميدع اخي ثقة عند الحفيظة باسل
وما ترك قوم لا اباك سيدا يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل
وميزان صدق لا يخيس شعيرة ووزان صدق وزنه غير غائل
الم تعلموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا نعبأ بقول الاباطل
لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد واحببته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسى دونه فحميته ودافعت عنه بالذرى والكواهل
فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها وشيناً لما عادى وزين المحافل
وايده رب العباد بنصره واظهر ديناً حقه غير باطل

ومنه قوله فى امر الصحيفة التى كتبتها قريش عهدا على مقاطعة بنى هاشم

الا ابلغا عنى على ذات بيننا لؤ يا وخصاً من لؤى بنى كعب (١)
الم تعلموا انا وجدنا محمداً نبيا كموسى خط فى اول الكتب (٢)

---

(١) ترى هذه الابيات فى سيرة بن هشام ج ١ ص ٢١٥ ط ٢ و تراها ايضا فى شرح النهج الحديدى ج ٢ ص ٣١٢

وان عليه فى العبد محبة ولاحيف فيمن خصه الله بالحب

وان الذى رقشتم فى كتابكم يكون لكم يوما كراغية السقب

افيقوا افيقوا قبل ان يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنبا كذى ذنب

ولا تتبعوا امر الغوات وتقطعوا اواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حربا عوانا وربما امر على من ذاقه حلب الحرب

فلسنا ورب البيت نسلم احمدا (٣)لعزاء من عض الزمان ولا كرب

ولما تبن منا ومنكم سوالف وايد اترت (٤) بالقساسية الشهب

بمعترك ضنك ترى قصد القنا به والضباع العرج تعكف كالشرب

كأن مجال الخيل فى حجراته وغمغمة الابطال معركة الحرب

اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكى ماقد ينوب من النكب

ولكننا اهل الحفائظ والنهى اذا طار ارواح الكماة من الرعب

---

(٢) قال العلامة الدحلانى فى اسناه ص ١٠ عندما ذكر هذا البيت ما هذا لفظه — هذا البيت من قصيدة لابى طالب قالها فى زمن محاصرة قريش لهم فى الشعب وهى قصيدة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبى (ص) والتصديق بنبوته وشدة حمايته له والذب عنه

(٣) فى القاموس العزاء السنة الشديدة

(٤) القساسية كما فى القاموس سيوف منسوبة الى معدن بارمينية يقال له القساس كغراب

وقــوله

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا (١)
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنى وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم امينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير اديان البرية دينـــا

وقــوله

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها (٢)
وان حصلت انساب عبد منافها ففى هاشم اشرافها وقديمـــها
وان فخرت يوما فان محمـــدا هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لانقر ظلامـــة اذا ماثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهـــة ونضرب عن احجارها من يرومها
بنا انتعش العود والذواء وانما باكنافنا تندى تنمى ارومهـا

---

(١) ذكر هذه الابيات الدحلانى فى اسناه ص ١٠ ، واوردها الثعلبى فى تفسيره فقال قد اتفق على صحة نقل هذه الابيات عن ابي طالب مقاتل وعبد الله بن عباس والقاسم بن مخيمرة وعطا بن دينار ، وادرج ابو الفداء المؤيد بيتا واحدا منها فى تاريخه ج ١ ص ١٢٠ حيث قال ومن شعر ابي طالب مما يدل على انه كان مصدقا لرسول الله قوله ودعوتنى وعلمت انك صادق — البيت — وتراها فى السيرة الحلبيـــة ج ١ ص ٢٨٧ .

وقوله يحرض ابا لهب على نصره النبي (ص)

وان مرأ ابو عتبـــه عمه لفى معزل من ان يسام المظالما (٢)
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة تسب بها اما هبطت المواسما
اقول له واين منه نصيحتى اباعتبة ثبت سوادك قائمـــا
وول سبيل العجز غيرك منهم فانك لم تخلق على العجز لازمـا
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى اخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
كذبتم وبيت الله نبزى محمـداً ولما تروا يوما من الشعب قائما

وقـــوله

ان عليا وجعفراً ثقـــتى عند ملم الزمان والنوب (٤)
لا تخذلا وانصرا بن عمكما اخى لامى من بينهـــم وابى
والله لا اخذل النـــبى ولا يخذله من بنى ذو حسب

وقـــوله

فلا تسفهوا احلامكم فى محمد ولا تتبعوا امر الغوات الاشائم (٥)
تمنيتموا ان تقتلوه وانمـــا امانيكم هذى كاحـــلام نائم

---

(٢) اورده ابن هشام فى سيرته ج ١ ص ١٦٠ ط ٢ وذكرها الدحلانى فى اسناه ص ١١ فقال هذه الابيات من غرر مدائح ابى طالب الداله على تصديقه بالنبوة وبماجاء به (ص)

(٣) فى السيرة الهشامية ج ١ ص ٢٢٦، وفى شرح النهج الحديدى ج ٣ ص ٣٠٢.

(٤) شرح النهج الحديدى ج ٣ ص ٣١٤ (٥) فى المجلد نفسه ص ٣١٢

واتكم والله لاتقتلونــه ولما ترو قطف اللحى والجماجم
زعمتم بانا مسلمون محمدا ولما نقاذف دونــه ونزاحم
من القوم مفضال ابى على العدى تمكن فى الفرعين من آل هاشم
امين حبيب فى العباد مسوم بخاتم رب قاهـــر فى الخواتم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة وما جاهل فى قومه مثـــل عالم
نبى اتاه الوحى من عند ربه ومن قال لايقرع بهـــا سن نادم

وقـــوله

وقالوا لاحمد انت امرؤ خلوف الحديث ضعيف السبب (٦)
وان كان احمد قـد جاءهم بصدق ولم يأتهم بالكذب
فانا ومن حج من راكب وكعبــــة مكة ذات الحجب
تنالون احمدا او تصطلوا ضباة الرماح وحد القضب
وتعترفوا بين ابياتكــم صدور العوالى وخيلا شزب
عليها صناديد من هـاشم هم الانجبون فى المنتجب

٤ — نثره

مر عليك شىء منه ونذكر لك هنا وصيته التى ذكرها جمع من المؤرخين كالالوسى فى بلوغ الارب (٧) والديار بكرى فى تاريخ الخميس (٨) والدحلانى فى اسناده (٩) والحلبى فى سيرته (١٠)

---

(٦) فيه ايضا ص ٣٠٩

(٧) ج ١ ص ٣٢٧ و ٣٢٨ ط الثانية (٨) ج ١ ص ٣٣٩ ط اولى

(٩) ص ٥ (١٠) ج ١ ص ٣٥٢ ط مصر

تقول نسخة بلوغ الارب عن هشام بن محمد ابن السائب الكلبى انه لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال، يامعشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع الواسع الباع، واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب، وانى اوصيكم بتعظيم هذه البنيه — يعنى الكعبة — فان فيها مرضاة للرب، وقواما للمعاش وثباتا للوطأة، صلوا ارحامكم فان فى صلة الرحم منسأة فى الاجل وزيادة فى العدد، اتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، اجيبوا الداعى، واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والمماة، وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام، واني اوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين فى قريش، والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وانكره اللسان مخافة الشنآن، وايم الله كأنى انظر الى صعاليك العرب واهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته، وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها واصفت

له بلادها، واعطته قيادها، يامعشر قريش كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لايسلك احد سبيله الارشد، ولا يأخذ احد بهديه الاسعد، ولو كان لنفسى مدة، وفى اجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى — هذا ماجاء فى بلوغ الارب وزاد فى روضة الواعظين قوله — غير انى اشهد بشهادته واعظم مقالته

تاريخ وفاته

٨

لا يمكننا البحث بضرس قاطع فى تعيين السنة التى توفى فيها لاختلاف المؤرخين فى ذلك تبعا لاختلاف الروايات، لكن يمكننا ان نرجح انها كانت فى السنة العاشرة من البعثة. نظر الى ترجيح الاخبار التى حكت وفاته فى السنة العاشرة ولذا ذهب الاكثرون الى ذلك، ففى السيرة الحلبية توفى ابو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد مضى عشر سنين من البعثة؛ وفى تاريخ ابى الفداء مات ابو طالب فى السنة العاشرة من البعثة، وفى بلوغ الارب قال الواقدى وتوفى ابو طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة وفى تاريخ الخميس عن السيرة اليعمرية مات ابو طالب فى السنه العاشرة من النبوة، وفى كامل ابن الاثير توفى ابو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروجهم من الشعب فتوفى ابو طالب فى شوال اوفى

ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة ، وقال ابن هشام في سيرته مات ابو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقال ابن الجوزي كما في تاريخ الخميس مات ابو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ، وفي البحار في باب دخول النبي (ص) الشعب وفي السنة العاشرة من النبوة مات ابو طالب ، وعن قصص الراوندي توفي ابو طالب في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله (ص) وقال الطبري ثم ان ابا طالب وخديجة هلكا في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وفي الطبقات لابن سعد توفي ابو طالب في السنة العاشرة من حين بعث رسول الله (ص) واختلفت كلمات الاقلين فردد بعض وفاته بين التاسعة و العاشرة واختار بعض كونها في الثامنة ونسب القول بها في العاشرة الى القيل ، يقول الدحلاني في سيرته كانت وفاة ابي طالب في التاسعة او العاشرة من النبوة ، ويقول ابن عبد البر في استيعابه توفي ابو طالب في السنة الثامنة وقيل في العاشرة من مبعثه (ص)

فمن هذا ونحوه يتمكن المطلع من ترجيح قول الاكثر ذلك عندما يرى من الاختلاف والاضطراب في قول الاقلين .

النبي (ص) يؤبن ابا طالب

٩

ان فقد ابي طالب وان عم وقعه شعوب قريش وقبائلها جمعاء وعز سمعه على الجميع وخص آل هاشم وبني عبد المطلب وآل

ابي طالب غير ان ذلك المصاب اختص بمحمد (ص) علاوة على ذلك بالخصوص، فان علاقتى النبي (ص) الودية والسياسية الصميمتين كانتا مقصورتين على ابي طالب فبفقده فقد النبي (ص) عاطفا ومستشاره الوحيد في مهمات اعماله وبدفنه دفن جميع آماله المعجلة في ام القرى، وهذه الخصوصية الثانية لم تكن لسواه (ص) مع ابي طالب فآل عبد مناف وان شاركوه في التأثر لفقد ابي طالب من حيث المحبة والرحم كل بحسبه فيهما، غير انهم لم يشاركوه في الجهة الثانية، ولقد نهض ابو طالب يوم كان بواجب العلاقتين ايما نهوض . فان ابا القاسم محمد (ص) هو الذي ميزه ابو طالب بمحبته، ومحضه نصحه وآثره بأعزازه واختصه بنصرته فكم جاهد بين يديه، وجالد ولم اغضب و اغضب في سبيله وباعد، فكان بذلك كله ابا رؤفا، وبرا عطوفا يفدي النبي (ص) بنفسه واهله وماله وولده، ويجد بذلك كله قرة عين وبرد فؤاد، وجذل ظفر، وصفقة ربح، فلذلك اختص المنقذ الاعظم (ص) بالخصوص بجليل رزئه وفادح خطبه وألم مصابه وعليه فهل يستبعد من النبي الكريم (ص) وقوفه في مواطن عديدة لتأبين عمه قياما بواجب شكره واداء لحق احسانه وبره

نعم: قام (ص) في مواطن كثيرة يؤبنه ويبكيه ويعدد نعمه عليه واياديه — فمنها — عندما وقف عليه وهو مسجى فقال (١) ياعم كفلت يتيما وربيت صغيراً ونصرت كبيرا فجزاك الله عني خيرا ياعم — ومنها — لما رفع نعشه بعدما غسله علي (ع) وحنطه

(١) رواه بن بابويه في الامالي مسنداً

وكفنه بأمر (١) النبي (ص) حيث خرج (ص) ليشيعه فاعترض النعش وقال (٢) برقة وحزن وكآبة — وصلت رحما وجزيت خيرا ياعم فلقد ربيت وكفلت صغيرا ونصرت وآزرت كبيرا

— ومنها — حين وضع النبي (ص) عمه في لحده فانه بكى وقال (٣) واابتاه واابا طالباه واحزناه عليك ياعماه كيف اسلو عنك يامن ربيتني صغيرا واجبتني كبيرا وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد

هذه الكلمات هي من جوامع الكلم اغنت عن جمل مطولة وخطابات مفصلة، فقد مر (ص) على تاريخ حياة عمه ابي طالب معه في حسن الرعاية وجليل العناية بكلمات اربع، كفلت، ربيت، اجبت، نصرت

---

(١) قال في اسنى المطالب ص ٢٤، فمن الصحيح ما اخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علي (ع) قال اخبرت رسول الله (ص) بموت ابي طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له وفي الصحيفة نفسها قال وفي السيرة الحلبية ان هذا الحديث اخرجه ايضا ابو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي (ع) وذكر الحديث نفسه

(٢) رواه المجلسي عن المفيد، وفي الاصابه ج ٧ ص ١١٢ ط مصر سنة ١٣٢٥ ذكره ابن حجر بتصرف واختصار

(٣) يرويه البكري في كتاب مولد امير المؤمنين (ع)

وانت اذا رجعت الى قوله (ص) (وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد) علمت مقدار حفاظه ومحافظته وحياطته له (ص) و دق ان التاريخ لو لم يذكر عن ابي طالب شيئاً لعرفنا التفاصيل كلها بهذه الكلمات الوجيزة ولكانت هي وحدها تتكفل شرح ماهو مبهم لدينا من احواله

ان النبي (ص) لم يكن ليقتصر على ذكره لابي طالب في هذه المواطن فحسب بل مازال يذكره ويشكره مدة عمره ويرشدك الى ذلك ماسيمر عليك قريبا انشاء الله تعالى تحت عنوان ليس للنبي مقام في مكة بعد ابي طالب ومن ذلك ايضا ماذكره ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٣١٦، من ان اعرابيا جاء الى رسول الله (ص) في عام جدب فقال اتيناك يارسول الله ولم يبق لنا صبي يرضع ولا شارف يجتر ثم انشد

اتيناك والعذراء تدمى لبانها	وقد شغلت ام الرضيع عن الطفل
والقى بكفيه الفتى لاستكانة	من الجوع حتى لا يمر ولا يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا	واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام النبي (ص) يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا هنيئا مربعا سحا سحا لاغدقا طبقا دائما دررا تحيي به الارض وتنبت به الزرع وتدر به الضرع واجعله سقيا نافعا عاجلا غير رائث فوالله مارد رسول الله (ص)

يده الى نحره حتى القت السماء ارواقها وجاء الناس يضجون الغرق الغرق يارسول الله فقال اللهم حوالينا ولاعلينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالاكليل فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجده ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عينه من ينشدنا قوله فقام علي (ع) فقال يارسول الله لعلك اردت وابيض يستسقى الغمام بوجهه ، فقال اجل فانشد ابياتا من هذه القصيدة ورسول الله (ص) يستغفر لابي طالب على المنبر ، ثم قام رجل من كنانة وانشد

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة اليه واشخص منه البصر
فما كان الا كما ساعة او اقصر حتى رأينا الدرر
دفاق العزالى وجم البعاق اغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمه ابو طالب ورواه غرر
به يسر الله صوب الغمام هذا العيان وهذا الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد ومن يكفر الله يلقى الغير

فمن قوله (ص) لله در ابى طالب لو كان حيا لقرت عينه ، تعلم ان النبي (ص) شديد الغرام بابى طالب كثير الذكر له ولذا تراه لاول مناسبة يذكره وهو على المنبر فى ذلك المجتمع بأحسن الذكر ، ومن بقائه (ص) على المنبر فى حين انه قد انتهى غرضه ومن استنشاده شعره فى ذلك الحال يمكنك ان تستنتج استراحته (ص) وارتياحه

لذكره ولا يخفى مافى ذلك مع دوام استغفاره له فى الوقت نفسه من اكبار ابى طالب وتكبيره فى اعين المجتمعين سيما اذا رأوا النبى (ص) يتهلل وجهه فرحا وسرورا بسماع منظومه، ونحن نستظهر دوام ذكره له فى خلواته ومع اصحابه وفى كل موطن من سير احوال الصحابة معه (ص) فى ترديد ذكر عمه بأدنى مناسبة فكأن حبه لذلك معلوم لديهم من حال النبى (ص) فهم يتقربون اليه بدوام ايناسه بذكره ويرشدك الى ذلك بيت الكنانى المتقدم الذكر (فكان كما قاله عمه ابو طالب) البيت، وما يروى (١) مسندا عن ابن عباس انه قال جاء ابو بكر الى النبى (ص) بأبى قحافه يقوده وهو شيخ كبير اعمى فقال رسول الله (ص) الا تركت الشيخ حتى نأتيه، فقال اردت يارسول الله ان يؤجره الله تعالى والذى بعثك بالحق لانا كنت اشد فرحا بأسلام عمك ابى طالب منى بأسلام ابى التمس بذلك قرة عينك، ونتبع ذينك بشاهد ثالث يقول ابن ابي الحديد — فى شرح النهج ج ٢ ص ٢١٦ فى شأن ابي عبيده بن الحرث نقلا عن السير والمغازى — ان عتبة ابن ربيعه اوشيبه لما قطع رجل ابى عبيده بن الحرث بن المطلب يوم بدر اشبل عليه على وحمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما من المعركة الى العريش فالقياه بين يدى رسول الله (ص) وان مخ ساقه ليسيل فقال يارسول الله لو كان ابو طالب حيا

(١) الاصابة ج ٧ ص ١١٣ ط مصر سنة ١٣٢٥

لعلم انه كان صادقاً فی قوله :

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ولما نطاعن دونه ونناظل
ونصره حتى نصرع دونه ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فاستغفر رسول الله له ولابي طالب وبلغ عبيدة مع النبی (ص) الصفراء فمات فدفن بها رحمه الله تعالى

هذه حالة الصحابة معه (ص) كما ترى يذكرون عمه لاول مناسبة ولا نرى منشأ ثمة سوى ماقلناه

تشريع صلوة الاموات بعد فوت ابى طالب

١٠

للسائل ان يسئل اصلى النبی (ص) على جنازة عمه ابي طالب ام لا والجواب هو ما اجاب به ابو الجهم بن حذيفه حيث سؤل بعين هذا السؤال فقال واين الصلوة يومئذ انما فرضت الصلوة بعد موت ابى طالب ولقد حزن رسول الله (ص) وامر عليا بالقيام بامره وشيع جنازته ، روى ذلك ابو الفرج مسنداً وهذا من المسلمات فقد روى ايضا الموضح النسابه مسنداً ان ابا طالب لما مات لم تكن الصلوة على الاموات مفروضة فما صلى النبی (ص) عليه ولا على خديجة لكن حزن عليه وشيع جنازته واستغفر له انتهى



والذي عليه اهل السير وغيرهم ان وفاة خديجة كانت بعد وفاة ابى طالب ترى ذلك فى سيرة الملا وسيرة اليعمرى وفى حياة الحيوان والسمط الثمين واسد الغاب والاستيعاب وانت اذا احرزت هذا يمكنك ان تستبده المطلب من جميع جهاتــــه من طريق القوم بتقريب ما ستسمعه

ففى تاريخ الخميس يقول صاحب الصفوة ونزل (ص) حفرة خديجة ولم يكن يومئذ سنة الجنائز الصلوة عليها وفى السيرة الحلبية ودفنت ـــ خديجة ـــ بالحجون ونزل (ص) حفرتها ولم تكن الصلوة على الجنائز شرعت فمن هذا وذاك يتضح لك ان الصلوة على الجنائز انما فرضت بعد فوت ابى طالب

يوم ابى طالب

١١

من البديهى ان مكانة شيخ الابطح فى قريش وبروز شخصيته فيها هى وحدها مدعاة لان يكون يومه يومـــاً مشهوداً ونحن لم نكتف بهذا التقريب فحسب هذا ابو الحسن البكرى فى كتاب مولد امير المؤمنين (ع) يقول شققن النساء عـــلى ابي طالب الجيوب ونشرن الشعور وشمل الحزن جميع شعاب مكة وشعوبها

وقد ذكر السيد فخار بن معد فى كتابه ابياتا لامير المؤمنين على (ع) يرثي فيها اباه منها

ابا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هد فقدك اهل الحفاظ فصلى عليك ولى النعم

ليس للنبى (ص) مقام فى مكة بعد ابى طالب

١٢

اجل بفضل حماية ابى طالب وحياطته تسنى للنبى (ص) البقاء فى مكة بعد اظهار الدعوة، وما ان غاب عن النبى (ص) وجه ابى طالب حتى ظهرت فى وجوه قريش صفحات الغدر، وعلتها سمات المكر، فقد خلا لهم الجو، وتفرق جيش محمد (ص) يوم ارتحل بيضة البلد، ولفت اعلامه يوم غيب فى الترب العمد وبذلك تهدم سوره المانع وتكهم سيفه القاطع، واستوحد ابو القاسم محمد (ص) فلا مانع ولا دافع، ولذا عدوا عليه (ص) يؤذونه بصنوف من الاذى، وقعدوا له كل مقعد، ووضعوا عليه العيون فى كل مرصد، واخذوا يرمونه بالدواهى من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله ومن فوق رأسه الشريف ومن تحت قدميه، واقبلت الفواقر تترى كقطع الليل المظلم، تترامى عليه فى المضائق والمنفرجات وفى قمم الجبال الشاهقة وفى اعلى الاكمات وفى بطون الاوديه وفى السهل والحزن، وقد اشار (ص) الى هذا ونحوه حيث

قال (لم يؤذ نبى بمثل ماأوذيت به)

لم تكن قريش لتحلم ببعض هذا فى حياة عمه، بل ولا فى العشر من المعشار، بل ولا فى الواحد من الف، ولذا كان (ص) كثيراما يشكو بثه وحزنه — وفيما احسب انه لبقايا اصحابه المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة الى الحبشة او غيرها — فيقول (١) ماذالت منى قريش شيئا اكرهه حتى مات ابو طالب، وعند اشتداد الازمة وتفاقم الخطب بتهجمهم عليه المرة تلو المرة وانزالهم به الضربة اثر الاخرى كان يستصرخ روح عمه الطاهرة ويستريح بالشكوى اليها فيقول ياعم ماأسرع ماوجدت فقدك (٢) وفى اثناء تلك الشدائد امره الله تعالى بالخروج من مكة

يروى الكافى عن ابى عبد الله (ع) قال جبريل يامحمد اخرج من مكة فليس لك بها ناصر فخرج هاربا حيث ثارت به قريش حتى جاء الى جبل يقال له الحجون فصار اليه

ويقول ابن ابي الحديد فى شرح النهج ج١ص١٠ جاء فى الخبر انه لما توفى ابو طالب اوحى الله الى رسوله (ص) ان اخرج من مكة فقد مات ناصرك

وخرج (ص) الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء ان يقبلوا منه ماجاءهم به. فابت نفوس الثقفيين

(١) الطبرى جلد ١ جزء ٢ ص ٢٢٩ ، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٢ .

(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٣

الخبيثة الا الطغيان حيث امتنعوا عن نصرته وعن الاصغاء لدعايته وجبهوه بالرد باقبح صورة وناله منهم من الاحتقار ما الله به اعلم ولما انقطع رجاؤه من ثقيف اراد (ص) الانسحاب بانتظام فابوا عليه واغروا به صبيانهم وعبيدهم وسفهاهم، فاخذوا يرمونه بالحجارة تارة ويقذعون فى الشتم والسباب تارة اخرى، حتى التجأ الى بستان فعمد الى شجرة فاستظل فيها والدم يسيل من ساقيه وقدميه لشدة وقع ما اصابه من الحجارة وهو يناجى الله سبحانه وتعالى شاكيا حيث يقول (١) اللهم اشكو اليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربى، الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى ام الى عدو ملكته امرى، ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ولكن عافيتك هى اوسع لى، اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بى غضبك او يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك

ثم قدم مكة وقومه على اشد ما كانوا عليه من خلافه، ولما عرض نفسه على القبائل فى الموسم يدعوهم الى الله تعالى انشأوا ينظمون الحركات القوية ضد دعايته (ص) وحيث لم ينجحوا فى تمام تدابيرهم — ووقفوا على شئ من بيعة الانصار المدنيين فى العقبة ورأوا ان امره لا يزداد الا علواً وشأنه الا رفعة ودينه الا انتشاراً

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٧ ط ١

مهما لجوا فى كفرهم، ومهما وضعوا على دعايته العيون والارصاد، ومهما اوغلوا فى تحقير امره وتصغيره — طفقوا يرتأون الحيلة فى قتله حذار تغلبه عليهم فيما اذا كثر اعوانه وعقدوا لذلك اجتماعات خاصة، وكان الاجتماع الاخير فى دار الندوة، فتبادلوا الاراء ثمة وبعد مخضها وقع الجمع على القرار النهائى فى سفك دمه (ص) فانتدبوا لهذا الامر جماعة من بطون قبائل شتى ليضيع دمه باشتراك القبائل فيه، لكن خاص النبى (ص) من كيدهم ومكرهم فان الله تعالى انزل على رسوله (ص) فى ذلك الحين قرآنا يتلى فيما دار بينهم من المكر: ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾

ثم اطلعه سبحانه وتعالى على تفصيل ما اجمعوا عليه واذن له بالهجرة، فدعا النبى (ص) عليا (ع) واطلعه على ما اجمعت عليه قريش وعهد اليه بأمور ثم امره بالمبيت على فراشه ليلة هجومهم عليه (ص) باسيافهم لانفاذ القرار، فاجابه على (ع) ملبيا بصدر رحب ورباطة جأش مفديا النبى (ص) بنفسه باذلا فيه مهجته، فبات على الفراش يصور فى عيون المهاجمين ان النبى (ص) باق لم يبارح مكانه حيث التف ببرده (ص) الحضرمى الاخضر الذى كان يلتف (ص) به عند المبيت، ثم خرج (ص) مهاجرا فانزل الله تعالى فى تلك الليلة فى امير المؤمنين (ع) (١) (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)

---

(١) ذكر ذلك الثعالبى والرازى فى تفسيريهما عند الكلام على هذه الآية.

تقديراً لمبيت علــى (ع) على الفراش واعظاما لشأنه ، ولبيــان فضل اكرومة المبيت محل آخر

نعم كان النبي (ص) فى حياة ابى طالب فى غنية عن هذه المشاق ولما اودى كان ماسمعت بجمله واضطر للجلا عــن بيت الله الحرام ولم يبق له فى مكة مقام وهى مسقط راسه ومحل انسه وكرسى مجد آبائه (ص) واجداده ، فتامل بهذا ونحوه ايها المسلم المنصف واشكر لابى طالب جهوده وقدر مواقفه ومقامه فى الاسلام . ولاتكن من الجاحدين لكلمة خرجت من فم السياسة الاموية فتلقاها بعض بقاسرى الرهبة والرغبة ، (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الاكــذبا) .

رأى العــالم الاسلامى فى اسلام ابى طـــالب

١٣

١ ــ الشيعة الامامية

جملة الامامية بقول واحد على اسلامه وايمانه تبعا لائمتهم اهل البيت (ع) الذين ارشـــد رسول الله (ص) اليهم ، ودل عليهم ، وامر بالاستمساك بهم فى امر الدنيا والدين ، فهم كما قال (ص) سفن النجاة ، وباب حطة ، وامان اهل الارض ، واحد الثقلين اللذيـن

لن يضل من تمسك بهما، الى غير ذلك مما ترويه عنه (ص) صحاح اهل القبلة كافة

٢ — الزيدية

اكثر الزيدية يقولون بمقالة الامامية في اسلامه وايمانه

٣ — المعتزلة

يقول بعض اكابر المعتزلة بعين المقالة المتقدمة ولا يرى لغيرها نصيبا من الواقع

٤ — العامة

منهم من يرى ايمانه والجمهور منهم ومن المعتزلة وقليل من الزيدية يرون انه مات على الكفر والعياذ بالله، وقريبا نوقفك على رد ما تمسكوا به لمزعمتهم الفاسدة

سر التشكيك في اسلامه

— او —

تاريخ تولد النزاع فيه



١٤

كم من حقيقة ناصعة بيضاء ذهبت فريسة الاهواء، وكم من حقائق راهنة وضعت في باحة التشكيك وربما مضى على احدها اعوام عديدة وايدي الخلائق جمعاء تشير اليها بالتسليم، وتتصافق

عليها بالسلام والدعة ولم يخطر على قلب بشر ان يضعها فى ميزان الشك او على بساط البحث والنظر غير ان ايدى القوى الزمنية القاهرة كثيراً ماحولت الضروري نظريا ، والحلال حراما ، والحرام حلالا ، والجمل ناقة ، ولذا نراها تقتل كل حقيقة مشروعة تعترض سيرها بكل نوع من المدمرات كيفما ساعدتها الظروف وعلى قدر الرهبة والرغبة ، وتجد فى التشكيك لذة حينما لا يمكنها القضاء على بعض الحقائق قضاء نهائيا ، ذلك عندما نراها تذيع الانباء لا عن حقيقة فتمثل روايات الافتراء على مسارح هذه الحياة حيثما شاءت وشاء لها التشكيك حقيقة راهنة يقرها العقل والمنطق

من هذه الحقائق التى كانت من الوضوح بمكان فى الصدر الاول من الاسلام — ايمان ابي طالب

اجل لم يكن النزاع فى هذه المسألة مع وقبل منازعة الامام على (ع) فى امر الخلافة حينما صارت اليه . والذى اعتقده ويعتقده كل من نظر فى التاريخ والسير والاخبار وامعن النظر بدقة ان نزاع المسلمين فى الاثبات والنفى فى المسئلة انما هو وليد قيام معاوية وزملائه ضد الخلافة العلوية ، ووليد اسعارهم نيران الحرب والفتن عداوة لصالح المؤمنين على (ع) ووليد جهدهم فى الليل والنهار فى دحض كل فضيلة ومكرمة عنه ، ولقد ابت نفوسهم الا التشكيك بعنوان مناقب والد الامام (ع) وحبيب النبى الكريم (ص)

هنا يلزمنا ان نمر بك على طرف يسير من سيرة معاوية

واعماله التى ترتبط بالمقام ليكون ذلك هو البرهان الجلى على صحة نظريتنا فى استنتاج تاريخ تولد النزاع فى المسئلة

تربع معاوية على العرش بالرغم عن كره الامة، واستوسقت له الامور بعد مقتل على (ع) وصلح الحسن (ع) على شروط اشترطها عليه لم يف له بها، فلم يكن فى الدنيا بعد ذلك اثقل على معاوية من ذكر مناقب على (ع) واهل بيته، فى حين ان من بقى من الصحابة ذوى السوابق فى الاسلام يسبحون بحمد على (ع) ويقدسون آثاره، ويقدرون له جهوده، ويحدثون بما جاء فى القرآن والسنة فى مناقبه لاياديه البيضاء على الاسلام منذ قام بالدعوة اخوه الصادق الامين الى آخر آن من حياته (ع)

وبالطبع ان هذا من الصحابة امر لابد منه فان علي عليه السلام هو بطل هذا الدين وساعد مؤسسه (ص) الاسد، وحقيق بكل صحابي او تابعي ان يطريه ويطرى اهل بيته لما لهم من البروز والظهور فى الاسلام، ومهما اجاد الصحابى فى مدحهم (ع) يعترف بالتقصير عندما يرتل سور حمدهم (ع) فى القرآن ويتلو محمود مدحهم فى السنة وهذه المدائح الباهرة التى كان يسمعها معاوية لم تكن لتثقل على سمعه فحسب بل انها كانت تبعث الى نفسه اسوأ الاوهام والظنون وتمثله يترقب من ورائها الويل والثبور على حين انه لم يحطم اساس هل مسنون فى الاسلام الا ليستولد من الخلافة ملكا ضخما يقره فى عقبه، ومادام لاهل البيت نور وظهور

وفيهم نظير سبطى الرسول (ص) الحسن والحسين (ع) لايدوم لبنى ابيه ملك وان دام ملكه فى حياته، والحق لامحالة بعد مهلكه يرجع الى نصابه لذلك كله اراد معاوية ان يبرم الامر لبنى ابيه ويبنى لهم سورا حصينا حول العرش، ومن البديهيات الاولية بخطر الداهية الاموى انه لايستقيم له ذلك الا بنقض اساس سور اهل البيت (ع) واطفاء نورهم وحمله الناس على رقابهم وفعله الشنيع فى اصحابهم، وقد تلقى هذه النظرية عنه الامويون كافة، ولذا قال مروان بن الحكم — كما اخرجه الدار قطنى — ما كان احد ادفع عن عثمان من على، فقيل لمروان مالكم تسبونه على المنابر، فقال انه لايستقيم لنا الامر الا بذلك.

وقد طبق منهاج نظريته هذه كما يحكيه لنا التاريخ فتارة يروى لنا بطش معاوية وتنكيله بشيعة على (ع) بل وبكل من ذكره وآله بخير او روى لهم عن صاحب السنة (ص) فضيلة

وطوراً يحدث عن تفريقه بدر الذهب الوهاج واقطاع المقاطيع والضياع وبناء البنايات الفخمة وتجهيزها بالاثاث والرياش لتتمسك السوء على ان يختلقوا الاحاديث المكذوبة بالغض من كرامة على (ع) واهليه والنيل منهم باقبح صورة، ثم يذيعون روايتها فى الاقطار

هكذا تستشهد جملة من الحقائق، يشملك فى جملة اخرى وكذا تكون بين فجوتى الترهيب والترغيب بجزرتها العظمى وبذلك تسنى لمعاوية ان يجعل من السنة شتم على (ع) نحو ستين سنة

يقول الحافظ السيوطي انه كان في ايام بني اميه اكثر من سبعين الف منبر يلعن عليها علي (ع) بما سنه لهم معاوية من ذلك وفي ذلك يقول العلامة احمد الحفظي الشافعي في ارجوزته

وقد حكى الشيخ السيوطي انه — قد كان فيما جعلوه سنه
سبعون الف منبر وعشره — من فوقهن يلعنون حيدره
وهذه في جنبها العظائم — تصغر بل توجه اللوائم
فهل ترى من سنها يعادى — ام لا وهل يستلزم يهادى
او عالم يقول عنه نسكت — اجب فاني للجواب منصت
وليت شعري هل يقال اجتهدا — كقولهم في بغيه ام الحدا
اليس ذا يؤذيه ام لا فاسمعن — ان الذي يؤذيه يؤذي من ومن
بل جاء في حديث ام سلمه — هل فيكم الله يسب مه لمه
عاون اخا العرفان بالجواب — وعاد من عادى ابا تراب

وهاك جملا تناسب المقام وتظهر لك نفسية معاوية وتريك سوء عمله في اتخاذ كل تدبير لطمس منار اهل البيت (ع) (يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون).

ففي شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٥ ، روى ابو الحسن علي ابن محمد بن ابي سيف المدني في كتاب الاحداث قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر

يلعنون عليا (ع) و يبرؤن منه و يعقون فيه وفى اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على (ع) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام على (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية الى عماله فى جميع الافاق الا يجيزوا لاحد من شيعة على واهل بيته شهادة وكتب اليهم ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان (رض) ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم واكتبوا الى بكل مايروى كل رجل منهم واسمه واسم ابيه وعشيرته ففعلوا ذلك حتى اكثروا فى فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه فى العرب منهم والموالى فكثر ذلك فى كل مصر وتنافسوا فى المنازل والدنيا، فلبثوا بذلك حينا ثم كتب الى عماله ان الحديث فى عثمان قد كثر وفشا فى كل مصر وفى كل وجه وناحية فاذا جاءكم كتابى هذا فادعوا الناس الى الرواية فى فضائل الصحابة والخلفاء الاولين فلا تتركوا خبرا يرويه احد من المسلمين فى ابى تراب الا وأتونى بمناقض له فى الصحابة مفتعل فان هذا احب الى واقر اعينى وادحض لحجة ابى تراب وشيعته واشد اليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس، فرويت

اخبار كثيرة فى مناقب الصحابة مفتعلة لاحقيقة لها وجد الناس
فى رواية ما يجرى هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر
والقى الى معلمى الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك
الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه
بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا فى ذلك ماشاء الله تعالى،
ثم كتب الى عماله نسخة واحدة الى جميع البلدان انظروا الى من
قامت عليه البينة انه يحب عليا واهل بيته فامحوه من الديوان
واسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة اخرى من اتهمتموه
بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء اشد ولا
اكثر منه فى العراق ولا سيما بالكوفة حتى ان الرجل من شيعة
على (ع) ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى اليه سره ويخاف من
خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن
عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك
الفقهاء والقضاة والولاة وكان اعظم الناس بلية فى ذلك القراء
المراؤن والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون
الاحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا
به الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبار والاحاديث
الى ايدى الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها
ورووها وهم يظنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا
تدينوا بها، فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن على (ع)

فازداد البلاء والفتنة ثم تفاقم الامر بعـــد قتل الحسين (ع) وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعـــة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب اليـه اهـل النسك والصـــلاح والدين ببغض على (ع) وموالاة اعدائه فاكثروا فى الرواية فى فضلهم ومناقبهم واكثروا من الغض من على (ع) وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى ان انسانا وقف للحجاج ويقال انه جد الاصمعى عبدالملك ابن قريب فصاح به ايها الامير ان اهلى عقونى فسمونى عليـــا وانى فقير بائس وانا الى صلة الامـــير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ماتوسلت به قد وليتك موضع كذا،

وعن الكامل للمبرد استعمل معاوية المغيرة بن شعبة عـــلى الـكوفة ودعاه فقال له اما بعد فان لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا ولا يجزى عنك الحليم بغير التعلم، وقـــد اردت ايصائك بأشيـاء كثيرة انا تاركها اعتمادا على بصرك ولست تـاركا ايصائك خصلة واحدة لاتترك شتم على وذمه والعيب لاصحابه والاقصاء لهم فقال له المغيرة قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمنى وستبلونى فستحمد او تذم قال بل نحمد ان شاء الله فاقام المغيرة عاملا عـــلى الـكوفة وهو احسن شئ سيرة غير انه لايدع شتم عـــلى (ع) والوقوع فيه

وفى شرح النهج الحديدى ج ١ ص ٣٦١، ان معاويـــة بذل لسمرة بن جندب مائة الف درهم حتى يروى هـــذه الاية انزلت

فى على (ع) وهى قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) وان الاية الثانية انزلت فى ابن ملجم وهى قوله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) فلم يقبل فبذل له مائتى الف درهم فلم يقبل فبذل له اربعمائة الف فقبل وروى ذلك

ان مكذوب الحديث اروج سلعة بيعت فى اسواق السياسة الاموية وهذا من مهمات جناياتهم على الدين الاسلامى، يقول ابن ابى الحديد فى شرح النهج ج ٣ ص ١٦ ، قال بن عروة — المعروف بنفطويه وهو من اكابر المحدثين واعلامهم — ان اكثر الاحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى ايام بنى امية تقربا اليهم بما يظنون انهم يرغمون به انوف بنى هاشم، ويقول فجر الاسلام ج ١ ص ٢٥٥ وتلمح احاديث كثيرة لاتشك وانت تقرؤها انهـا وضعت لتاييد الامويين كالخبر الذى روى ان رسول الله (ص) قال فى معـاوية اللهم قه العذاب والحساب وعلمـه الكتاب، وكالذى روى ان عمر بن العاص قال قال رسول الله (ص) ان آل ابي طالب ليسوا لى باولياء

ومن الضرورى الذى لايخالجه ريب ان من لايتحرز عن مثل هذه المناكير فهو خليق بان لا يتحرز عن وضع الاخبار الكثيرة فى تكفير ابي طالب (ع) ايذاء لعلى (ع) وآل ابى طالب وشيعتهم

ليكون المتغلب الاموي بذلك قرة عين ، ومن هان عليه بذل اربعمائـة الف لسمرة ليروي للناس ان الاية الاولى المتقدمة الذكر انزلت في علي (ع) يهون عليه البذل في سبيل تكفير والده (ع). على ان الاغراض السياسية التي قادتهم الى الطعن في آل ابي طالب هي نفسها التي حدتهم على الطعن في ابي طالب وبالطبع ان مثل هذه التدابير تنطلي على كثير من البسطاء في ذلك العصر فيرونها حقا، وبذلك ترجح كفة ابن ابي سفيان بنظرهم وتخف كفة علي (ع) حينما يرون الطعن فيه وفي ابيه وفي شيعته وذويه.

نعم ويؤدي ذلك في العصور المتاخرة الى الاعتقاد بصحتها من جملة من العرفاء وبالاخص عندما يجدونها روايات مسندة الى من يمت بأبي طالب بنسب او تجمعه واياه آصرة رحم وما هي في الحقيقة الا افتراءات مفتعلة من رجال السوء.

وبمثل هذا اغتر كثير من العرفاء ومنهم الفاضل المعتزلي لما نقلت له اسطورة النفس الى المنصور فاتخذها بيده مستمسكا قويا وطفق يعربد في تقريب صحتها وقبولها معا بدون مارويه وتثبت وستسمع ماهو التحقيق فيها انشاء الله تعالى.

فبمجموع ماقدمناه يمكنك ان تكتنه السر في الاختلاف في المسئلة وتستطيع ان تستنتج تاريخ تولد النزاع

نظرة فيما تمسك به المكفرة

١٥

نحن لو رجعنا الى ماتمسك به المكفرة لوجدناه في غاية من الوهن

ولذا نرى اهل التحقيق لم يحفلوا به ، بيد ان جماعـــة من الناس اعتمدوا على اخبار ملفقة واقوال بدون حجة واغفلوا البحث عن صحتها وسقمها وعما يعارضها من الصحاح .

(منها) مايروونه عن سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت اباطالب الوفاة قال له رسول الله (ص) فى كلام لاستغفرن لك فانزل الله تعالى (ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفـــروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم)

ان رواية نزول هذه الاية فى ابى طالب مخدوشة السند . لايصح ان يكون ذلك شأن نزولها ، معارضة بما هو اقوى منها سندا واقرب اعتباراً ، وكل واحدة من هذه الجهات الثلاث تسقطها عن درجة الاعتبار عند اهل الفن

١ ــ سندها

سمعت انهم يروونها عن سعيد بن المسيب ، وسعيد هذا لايوثق بروايته مع اشتهاره بالانحراف عن امير المؤمنين على (ع)

يقول ابن ابى الحديد فى شرح النهج ج ١ ص ٣٧٠ ، وكان سعيد بن المسيب منحرفا عن على عليه السلام ، ويرشدنا الى ذلك ماحكاه عنه ايضا فى الصحيفة نفسها قال روى عبدالرحمن بن الاسود عن ابى داود الهمدانى قال شهدت سعيد بن المسيب واقبل عمر بن على بن ابي طالب (ع) فقال له سعيد يا ابن اخى ماارك تكثر غشيان

مسجد رسول الله (ص) كما يفعل اخوتك و بنو اعمامك فقال عمر يابن المسيب اكلما دخلت المسجد اجئ فاشهدك فقال سعيد ما احب ان تغضب سمعت اباك يقول ان لى من الله مقاما لهو خـــير لبنى عبد المطلب مما على الارض من شئ فقال عمر وانا سمعت ابى يقول مامن كلمة حكمة فى قلب منافق فيخرج من الدنيا الا يتكلم بها فقال سعيد يا بن اخى جعلتنى منافقا قال هو مااقول لك ثم انصرف

هذه الشدة والمصارحة من عمر بن على (ع) مع ابن المسيب لم تكن الا عن انحرافه الشديد عن والده (ع) والا فليس فى كلام ابن المسيب مع عمر مايوجب هذا القدر من قوارص الكلم ، وقد تجلى لنا اثر انحراف سعيد بما يرويه لنـــا جمع من اهل السير منهم الواقدى من ان سعيد بن المسيب مر بجنازة السجاد على بن الحسين (ع) بن على بن ابى طالب (ع) ولم يصل عليها فقيل له ألا تصلى على هذا الرجل الصالح من اهل البيت الصالحين فقال صلوة ركعتين احب الى من الصلوة على الرجل الصالح

وهذا القدر كاف فى جرح ابن المسيب واسقاط مايرويه

٢ ــ شأن نزولها

نرى ان كلام النبى (ص) مع ابي طالب كان قبل وفاته كما هو نص رواية سعيد وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهذه الاية هى الرابعة عشر بعد المائة من سورة التوبة ، وسورة التوبـــة انزلت فى غضون السنة التاسعة بعد الهجرة واذاً بين قوله (ص) لعمـــه

(لاستغفرن لك) وبين نزول الاية اثنا عشر سنة وعليه فمن الغريب المستهجن جدا نزول هذه الاية فى ابى طالب والحالة هذه.

٣ ـــ معارضتها بما هو اصح منها سندا واقرب اعتبارا

يقول فى اسنى المطالب ص ١٨ ، رأينا ان عليـا رضى الله عنـه روى عنـــه بطرق صحيحة رواها الامـام احمـد والترمـــذى والطيالسى وابن ابى شيبة والنسائى وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى، ان السبب فى نزول الاية استغفار ناس لابائهم المشركين قال على رضى الله عنه سمعت رجلا يستغفر لأبويـــه وهما مشركان فقلت استغفر لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيـــه فذكرت ذلك للنبى (ص) فنزلت (ماكان للنبي والذين آمنوا الاية) فهذه الرواية صحيحة، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يستغفرون لابائهم حتى نزلت هذه الاية فلما نزلت امسكوا عن الاستغفار لامواتهم ولم ينهوا ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم انزل الله تعالى (وما كان استغفار ابراهيم) الاية يعنى استغفر له مادام حيا فلما مات امسك عن الاستغفار له قال وهذا شاهد صحيح فحيث كانت هذه الرواية اصح كان العمل بها ارجح فالارجح انها نزلت فى استغفار اناس لابائهم المشركين لافى ابى طالب انتهى

اذاً فتمسك المكفرة برواية ابن المسيب مع الخدش فى سندها

وعدم مطابقتها لشأن نزول الاية ووجود ماهو اصح منها، بمكان من الوهن وتنكب عن جادة الانصاف، وخلاف لما عليه اهل التحقيق كالزمخشري في كشافه عند الكلام على هذه الاية حيث لم يصحح نزولها في ابي طالب، وكالعلامة السيد محمد بن رسول الملقب بالبرزنجي حيث تتبع ماروى في نزول الاية وبعد التحقيق قال — كما في اسنى المطالب ص ١٧ — والصحيح انها نزلت في اباء الناس الذين ماتوا في الكفر وكان اولادهم يستغفرون لهم

(ومنها) قولهم ان النبي (ص) لمزيد حبه لعمه ابي طالب طلب منه ان يؤمن فابى فانزل الله تعالى (انك لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين) ويستدلون على ذلك بما يحكيه الزجاج من اجماع المسلمين على نزولها في ابي طالب (ع)

يجدر بكل منصف ان يقضي عجبا من دعواهم الاجماع المومى اليه فان الشيعة الامامية وهم من اكبر طوائف الاسلام لايرون نزولها في ابي طالب تبعا لائمتهم الذين هم اعلم الناس باسباب النزول، وهم خزان علم الرسول، وبهم يعرف الصواب، وفي ابياتهم نزل الكتاب

اللهم الا ان يخرجوا الشيعة وائمتهم (ع) من فرق الاسلام كما اخرجوا ابا طالب وليس ذلك عليهم بالبعيد، تلك سمة اجماعهم وهذه حالته واما الاخبار التي حكت نزول الاية في ابي طالب (ع) فهي معارضة بما يسقطها عن الحجية ذلك بما يذكره ابو المجد

ابن رشادة الواعظ الواسطي في كتابه اسباب النزول عن الحسن بن الفضل من انها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وكان النبي يحبه ويحب اسلامه ، ويقرب مايروى عن الحسن ابن الفضل اجماع المسلمين بدون استثناء على نزول الاية التي بعد هذه الاية في الحارث نفسه ، لكن انحراف القوم عن ابي طالب صرف الاية الاولى اليه ، وقد روى لنزول الاية اسباب اخر لا نطيل الكلام بتعدادها وبالجملة فان جهل القوم بأسباب النزول بأعراضهم عن آل الرسول هو الذي دعاهم الى دعوى نزول الاية في ابي طالب .

اللهم احكم بيننا وبين الذين ظلموا عم رسولك الكريم (ص) بالحق وانت خير الحاكمين

(ومنها) قولهم ان قوله تعالى (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) انزل في ابي طالب

وهو كما ترى فان من لاحظ سوابق الايات ولواحقها يرى ان الاية وماقبلها وما بعدها منزل في اليهود والقول بخلاف ذلك يوجب تفكيك نظم الايات وذهاب جزالتها وهذا هو الذي ذهب اليه ابو حيان واشار اليه ابو السعود في تفسيره ، على ان زعمهم الفاسد هو خلاف ما اتفقت عليه كلمة المفسرين كافة حيث ذكروا لسبب نزول الاية وجوها وهذا ليس منها فراجع تفسير الرازي والزمخشري والبيضاوي وابي السعود والدر المنثور في التفسير بالمأثور وغيرها

تتحقق ان ليس لنزولها فى ابي طالب عين ولا اثر ، ولا جرم ان كانت دعواهم مجردة عن البرهان فان تنكب الحــــق يفسد الرأى ويذهب بالروية

(ومنها) مايروونه من ان النبى (ص) حضر ابا طالب عند الموت وكان عنده ابو جهل وعبد الله بن امية المخزومى فقال النبى (ص) اى عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها فقــال ابو جهل وعبد الله بن ابى امية اترغب عن ملة عبد المطلب وما زالا يرددان القول حتى قال ابو طالب آخر ماكلمهم فيه انه على ملة عبد المطلب ولم يقل كلمة الشهادة

ليت شعرى كيف يصح لمحاجج ان تسكن نفسه لمثل هــذه الرواية وهى على ماهى عليه من الوهن ، ام كيف يسوغ له ان ان يتخذها حجة بيده يصول بها على خصومه فى تأييد مزعمته فى حين انه يرى فى سلسلة رجال السند مثل اسحاق بن ابراهــيم بن راهويه ، ونظير معمر بن راشد وكلاهما قد خفت كفتهما فى الرواية فى ميزان الذهبي ولذا يقول قال ابو عبيد الآجرى سمعت ابا داود يقول اسحاق بن راهويه تغير قبل موته بخمسة اشهر وسمعت منه فى تلك الايام فرميت به ، وذكر شيخنا ابو الحجاج حديثا عنه فقال قبل اسحاق اختلط

ويقول الميزان فى معمر ، معمر بن راشد له اوهام معروفــة احتملت له وقال ابو حاتم ماحدث به ، معمر بالبصرة ففيــه

اغاليط . وبقطع النظر عن الجرح فى رواة الرواية لما سمعت فان الرواية معارضة بما روى بأسانيد عديدة عن العباس تارة وعن ابي بكر (رض) اخرى من ان ابا طالب مامات حتى قال لا اله الا الله محمد رسول الله

ومع مماشاة الخصم وتسليم صحة الرواية فالرواية لاتكون له بل هى عليه ولذا نراها لاتدل على اكثر من ان النبى (ص) انما سأل من عمه كلمة التوحيد عند الموت ليشهد له بأنها هى آخر عهده بالكلام كما هو المعروف من السنة النبوية الى اليوم من الاشهاد على التوحيد لدى الوصية كتبا وطلب اهل الميت منه حال النزاع الاعتراف بالوحدانية قولا ، فطلب النبى (ص) من عمه كلمة التوحيد لذلك ، لا لأنه كان يطلب منه ان يدخل فى الاسلام فى ذلك الحين بل هو مسلم من اول يومه ، بيد انه لما كان السؤال بمحضر من عتاة قريش وطواغيتها نظير ابى جهل وكانوا يعتقدون ان ابا طالب على دينهم اجمل ابو طالب الجواب بما يوهم جبابرة قريش انه منهم جريا على سياسته فى الاحتفاظ بمصلحة حضرة الرسالة (ص) (١) وبذلك الاجمال خفض من غلواء قريش

(١) يشهد لنا فى اتخاذ ابي طالب (ع) هذه السياسة ماصح عن رسول الله (ص)، قال (ص) ان اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الكفر فآتاهم الله اجرهم مرتين وان ابا طالب اسر الايمان واظهر الشرك فآتاه الله اجره مرتين والى هذه السياسة يشير العلامة السيد على خان —

على النبي (ص) واجاب النبي (ص) الى مالراد بالكناية فى آن واحد فان فى قوله (ص) انه على دين عبد المطلب مقنعا لعتات قريش حيث يرون ان عبد المطلب منهم وفى الوقت نفسه جوابا كنائيا عن سؤال رسول الله (ص) فانه ارادمن قوله اني على ملة عبد المطلب انى مقر بالوحدانية كما هو معلوم لدى النبي (ص) من حال من كان على ملة عبد المطلب ، وقد اسلفنا تحت عنوان (مولده ونشأتـــه) مايدل على ايمان عبد المطلب من كلمات المؤرخين واهل السير، على انه ثبت بالدليل القطعي ايمان عبد المطلب وآباء النبي (ص) اجمع سلام الله عليهم ، ولبيانهم مما قام عليه اجماع الامامية ، وقدذهب الى ذلك جمع من اعلام غيرهم والفوا فى ذلك رسائل فراجع تاليفات السيوطي فى هذا الباب

- فى البيت الخامس من مقطوعته هذه

ابو طالب عم النبي محمد	به قام ازر الدين واشتد كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر انه	مؤازره دون الانام وكافـــله
لقد جهلت قوم عظيم مقامه	فاضر ضوء الصبح من هو جاهله
ولولاه ماقامت لاحمد دعوة	ولا انجاب ليل الغي وانزاح باطله
اقر بدين الله سراً لحكمة	فقال عدو الحق ماهو قائـــله
وماذا عليه وهو فى الدين هضبة	اذا عصفت من ذى العناد اباطله
وكيف يحل الذم ساحة ماجد	اواخره محمـــودة واوائـــله
عليه سلام الله ماذر شارق	وماتليت احسابه وفضائـــله

ترى هذه الابيات فى ديوانه وفى الدرجات الرفيعة ايضا

بل ان اباطالب (ع) لم يكتف بالكناية في جواب سؤال النبي (ص) وانما اجابه بها في حال الاضطرار والتقية من فراعنة قريش وبعده لم يزل يترقب الفرص لاجابة النبي (ص) صريحا في الاشهاد على كلمة التوحيد في اخريات كلامه في دار الدنيا ، وقد جعل طلب النبي (ص) نصب عينه وهو يجود بنفسه حتى اذا قام المشركون الالداء من المجلس – وكان في ذلك الوقت قد خفي صوته ودنت ساعته – تشهد صريحا وجعل الاعتراف بالوحدانية والرسالة آخر كلامه ويرشدنا الى ذلك ما روي عن العباس من انه لما تقارب من ابي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفته فاصغى اليه باذنه فسمع منه الشهادة فقال للنبي (ص) يابن اخي والله لقد قال الكلمة التي امرته بها

وقد اقر العباس شهادته تلك بعد اسلامه حيث قال ما مات ابو طالب حتى قال لا اله الا الله محمد رسول الله ، وعليه فليس للخصم ان يجرح شهادة العباس وهي قوله يابن اخي والله لقد قال الكلمة التي امرته بها بان هذه الشهادة كانت منه حال كفره كما لا يخفى

(ومنها) حديث الضحضاح وقد اشتهرت روايته عندهم قالوا انه قال العباس بن عبد المطلب للنبي (ص) مااغنيت عن عمك ابي طالب فوالله كان يحوطك ويغضب لك فقال (ص) هو في ضحضاح (١) من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار

(١) الضحضاح مارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار

وفى حديث آخر عن ابى سعيد الخدرى انه سمع رسول الله (ص) وقد ذكر عنده عمه يقول لعله تناله شفاعتى يوم القيمة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبه يغلى منه دماغه وهذا الحديث نفسه ذكر بسند آخر بزيادة كلمة واحدة حيث قالوا تغلى منه (ام) دماغه.

نرشد المطالع الى ملاحظة سند الحديث الاول وسندى الحديث الثانى وآنئذ يرى فى سلسلة سند الحديث الاولى سفيان الثورى يرويه عن عبد الملك بن عمير، اما سفيان فمدلس يكتب عن الكذابين، واما عبد الملك فيضعفه ويغلطه نظير الامام احمد وكفى

يقول الذهبى فى الميزان ـــ سفيان الثورى كان يدلس عن الضعفاء وقيل فى شأنه انه يدلس ويكتب عن الكذابين.

ويقول فى عبد الملك فى الميزان ايضا ـــ عبد الملك بن عمير القاضى فى الكوفة قد ضعفه الامام احمد وقال انه يغلط وقال ابن معين انه مخلط وقال ابن خراش كان شعبة لا يرضاه وذكر الكوسج عن احمد انه ضعفه جدا وذكره ابن الجوزى فذكر جرحه وماذكر له تعديلا.

ويرى ايضا فى السلسلة الاولى من سند الحديث الثانى عبدالله بن يوسف التنيسى يرويه عن الليث بن سعد، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، والثلاثة المومى اليهم لاوزن لروايتهم

يقول الذهبى فى ميزانه ـــ عبد الله بن يوسف التنيسى قد ذكره ابن عدى فى الكامل فى الضعفاء



ويقول في الليث — قال ابن معين كان الليث يتساهل في الشيوخ والسماع وذكره النبأ ، في تذييله على الكامل وهو كتاب في الضعفاء

ويقول في ابن الهاد — يزيد بن عبد الله بن الهـــاد اورد في باب من ذكر في جرح من رجال الموطأ

واما السلسلة الثانية ففيها عبد العزيز بن محمد الدراوردي يرويه عن ابن الهاد

اما ابن الهاد فهو الذي تعرفت به آنفاً ، واما عبد العزيز فليس لائمة القوم وثوق في قوله

يقول في الميزان — ان عبد العزيز بن محمد الدراوردي قد قال فيه الامام احمد انه اذا حدث من حفظه يهم ليس هو بشيء واذا حدث جاء ببواطيل ، وقال فيه ابو حاتم لايحتج بقوله .

ولو فرض ان ادعى الخصم توثيـــق اولئك الرواة فالخصم محجوج بما قرر في اصول الفقه من ان الترجيح في جانب الجارح كما لايخفى ، وعليه فلا مسوغ للتمسك بمثل هـــذه الاخبار التي اطلعت على حقيقة رواتها ومقدار مكانتهم عند ائمة القوم .

ولا من شك ان امارات افتعال هذا الحديث تـــتراءى لك في اسلوبه من جهة وفيما صح سندا عن اهل بيت العصمة في تكذيبه من جهة اخرى

يقول الصادق جعفر عليه السلام — يايونس مايقول الناس في ابي طالب — اراد بالناس اعدائهم — قال يونس جعلت فداك

يقولون انه فى ضحضاح من نار تغلى منه ام رأسه فقال عليه السلام
كذب اعداء الله ان ابا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين

ويقول الباقر محمد (ع) عندما سئل عما يقول الناس فى ابى طالب
وانه فى ضحضاح من نار — لو وضع ايمان ابى طالب فى كفة
ميزان وايمان هذا الخلق فى الكفة الاخرى لرجح ايمانه ، ثم قال
الم يعلموا ان امير المؤمنين كان يأمر ان يحج عن عبد الله وابى
طالب فى حياته واوصى فى وصيته بالحج عنهما ، وهذا الخبر نفسه
يروى بسند صحيح عن الصادق (ع) ايضا

ويقول زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام وقد
سئل عن حديث الضحضاح — واعجباه ان الله تعالى نهى رسول
الله ان يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت اسد من
السابقات الى الاسلام ولم تزل تحت ابى طالب حتى مات

وحاشا اهل بيت العصمة ان يجرهم التعصب لوالدهم فيقولون
فيه ماليس له فانهم عدل القران الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه بنص السنة المقدسة (انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل بيتى) فهم كالقرآن منزهون عن
الزلل والخطل ، وهم المطهرون عن الارجاس فى محكم التبيان

(ومنها) مايروونه عن سفيان بن عيينة عن ابى اسحاق عن
ناجية بن كعب

يقول ناجية قال علي (ع) اتيت النبي (ص) فقلت ان عمك الشيخ الضال قد مات يعني اباه فقال (ص) اذهب فواره الحديث

قبل كل شيء يلزمنا ان ننظر في رجال السند الثلاثة ليكون المطلع على بصيرة من امرهم ثم نوكل الحكم في قبول هذه الرواية وعدمه اليه

اما ابن عيينة سفيان فهو مدلس كما في الميزان، واما عمرو بن عبد الله ابو اسحاق السبيعي فهو من محدثي السوء وشيوخ الرشى الذين يتقاضون من معاوية الراتب الشهري على اختلاق الاحاديث تأييدا لسلطانه وارغاما لانوف ال ابي طالب

يقول الذهبي في الميزان يتقاضى ابو اسحاق السبيعي من معاوية في الشهر ثلاث مائة ويقول روى ابن جرير عن مغيرة انه ما افسد حديث اهل الكوفة غير ابي اسحق، هذا هو الذي يلزم الخصم بطرح رواية ابي اسحق، ونحن نستلفت القراء علاوة على ما تقدم الى خصوص مايرويه سفيان بن عيينة عن ابي اسحق ليكونوا على بصيرة من امر هذه الرواية تلك بما يحكيه في الميزان عن الفسوي يقول الذهبي «قال ابن عيينة يعني سفيان حدثنا ابو اسحاق في المسجد وليس معنا ثالث فقال الفسوي يقول بعض اهل العلم كان قد اختلط ابو اسحاق وانما تركوه مع ابن عيينة لاختلاطه»

وبتعبير اوضح ان القوم لم يأخذوا بما يروى عن ابي اسحاق من طريق ابن عيينة لاخذهم عنه حال اختلاطه ليس الا، ويشهد

لذلك ان مولد ابن عيينة سنة ١٠٨ ، ووفاة ابي اسحاق كانت في سنة ١٢٩ وقيل كانت قبل ذلك ، وبهذا التقريب تستنتج ان ابن عيينة لم يدرك ابا اسحاق الا في ايام اختلاطه

واليك حلية ناجية بن كعب ، يقول الذهبي في الميزان توقف ابن حبان في توثيقه ، وقال الجوزجاني في الضعفاء هو مذموم وقال ابن المديني لا اعلم ان احدا حدث عن ناجيــــة بن كعب سوى ابي اسحاق وابو اسحاق هو ذلك المستأجر الذي تعرفت به انفا

هذه حال رجال السند وزد على ذلك ان الرواية معارضة بما اخرجه ابن عساكر عن علي (ع) قال (ع) اخبرت النبي بموت ابي طالب فبكى وقال اذهب فغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه

(ومنها) مايقال من ان عليا (ع) وجعفرا لم يأخذا من تركة ابي طالب

يقولون وذلك آية ماندعيه لقوله (ص) لاتوارث بين اهل ملتين ، وفي ذلك مالا يخفى فانه لو سلم لهم المدعى والعياذ بالله فهو لا يستدعي ان لا يأخذ علي (ع) وجعفر من تركة ابي طالب فان من ضروريات مذهب اهل البيت (ع) ان المسلم يرث الكافر ولا يرث الكافر المسلم ، وهذا هو معنى قوله (ص) لاتوارث بين اهل ملتــين ليس الا ، لان التوارث تفاعل ، والتفاعل لا يحصل الا من طرفين فاذا ورث طرف دون الاخر لم يتحقق التوارث ، وعليه فعـــدم اخذهما (ع) من تركة ابيهما لا دلالة فيه على مايدعون

(ومنها) ماينقل من ان ابا طالب لم ينقل عنه أنه صلى والصلوة هي التي تميز المؤمن عن غيره

يقول ابن ابي الحديد في الجواب عن هذه الشبهة — يجوز ان يكون لان الصلوة لم تكن بعد قد فرضت وانما كانت نفلا غير واجب فمن شاء صلى ومن شاء ترك ولم تفرض الصلوة الا بالمدينة انتهى

على ان عدم النقل لايدل على عدم حصول الصلوة سيما لمثل ابي طالب الذي كان يتستر بمثل الصلوة ونحوها من الشعائر الاسلامية بلحاظ سياسته مع القوم واحتفاظا بمركزه في نفوس الكفرة لمصلحة الاسلام

ومهما يكن من شيء فما كان في الحسبان ان مثل ابن ابي الحديد يحيد عن جادة الاعتدال فيتوقف في ايمان ابي طالب بعد ان سرد في الفصل نفسه مايوضح له المحجة من شعره الصريح في ايمانه وبما ورد فيه من الاخبار الشاهدة له بذلك .

يقول الفاضل المعتزلي (١) وتقف في صدري رسالة النفس الزكية (٢) الى المنصور وقوله فيها انا ابن خير الاخيار وانا ابن شر الاشرار وانا ابن سيد اهل الجنة وانا ابن سيد اهل النار فان هذه شهادة منه على ابي طالب بالكفر وهو ابنه وغير متهم عليه

---

(١) شرح النهج ج ٣ ص ٣١٢

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط (ع)

وعهده قريب من عهد النبي (ص) ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلا وجملة الامر انه قد روى في اسلامه اخبار كثيرة وروى في موته على دين قومه اخبار كثيرة فتعارض الجرح والتعديل فكان كتعارض البينتين عند الحاكم وذلك يقتضي التوقف فانا في امره من المتوقفين انتهى

انت ترى ان توقفه هذا انما هو لوقوف هذه الرسالة في صدره — كما لا يخفى على من عرف لحن القول وفصل الخطاب — عندما نجده يطنب في تقريب اعتبار الرسالة — فان هذه شهادة منه على ابيه وهو ابنه وغير متهم عليه الخ الخ — لكن الفاضل المعتزلي لأمر ما تترس بتعارض الاخبار للتوقف فارتجل ذلك التخلص حيث قال وجملة الامر انه قد روى في اسلامه اخبار كثيرة وفي موته على دين قومه اخبار كثيرة الى ان قال فانا في ذلك من المتوقفين.

اما الاخبار فلا تعارض بينها لبداهة ان التعارض فرع التكافؤ واخبار الباب غير متكافئة فان مايرويه الخصم امر تفرد به على مافيه من علات وهنات وضعف وبعد لوجوه اسلفناها لك فيما تقدم، واخبار لهذه لاتصلح لمعارضة اخبار يرويها الفريقان في ايمانه عليه السلام وفوق هذا هي معتضدة باجماع اهل البيت (ع) على وفقها

واما الاسطورة المنسوبة الى النفس فليت ابن ابي الحديد تنبه الى البحث عن راويها وهل هو سوى عثمان بن سعيد بن سعد المدني



كلا ثم كلا وهذا سعيد من مجاهيل الرواة ، وعليه فلا ندحة عن سقوط هذه الرسالة من صدر امثال ابن ابى الحديد الى حيث مستقرها . . . . . وليس له او لغيره الا ان يحشرها محشر الاساطير

ان صاحب الوجدان يكاد ان يقتنع جدا بوضع الرسالة كلا او بعضا لاول نظرة فيها بروية حيث يجد هذه الفقرة (وانا ابن شر الاشرار) لاتكاد تصدر عن مثل محمد صاحب النفس فى حق مثل ابي طالب وان سألت عن السبب فى ذلك ، قلنا لك ان محمدا ذا النفس كان يدعى الخلافة وينازع من سواه فى امرها وكان الناس فى عصره لايشكون فى انه هو المهدى ومن كانت له هذه الشخصية وكانت الثقة فيه عامة يستبعد منه جداً ان يسجل على نفسه بقلمه عند عدوه الالد هذا الكذب الصريح . (وانا ابن شر الاشرار) لان معنى ذلك هو ان ابا طالب لااشر منه فى عصره او فى قومه وذلك قول تأباه الحقيقة حتى لو فرض محالا ان ابا طالب مات على دين قومه حيث لانجد احداً من سائر الملل والنحل يقول انه كان اسوأ حالا من ابي لهب او اشر من ابى جهل واضرابهما فى الوقت الذى يرى ان شر ابى جهل قد طبق الارض فى الطول والعرض ، وخير ابى طالب وسوقه كل جميل وبذله كل عنايةو لحاظه كل رعاية لمحمد (ص) وللاسلام عامة لايجهله ابن انثى وعليه كيف يجوز للعاقل ان يظن صدور مثل هذا من ذى النفس وهو فى ذلك المقام المملوء حماسا وافتخاراً ، وليت شعرى اى فخر يبقى لصاحب

النفس وهو ابن شر الاشرار ودل يفخر بمثل هذا سوى احمــق مدخول العقل

ايها الفاضل فلنضرب صفحا عن ذلك كله ولنسلم لك صدور الرسالة عن النفس بيد انه لنا ان نسئل بأى الدلالات فهمت ان المعنى بشر الاشرار ابو طالب وهل كان فى الفقــرة تصريح او ظهور اوجب انصرافها اليه اللهم لا الا من طريق التخرص ، واذا ارجعنا تعيين مداليل الالفاظ الى التخرص فلماذا لم يكن المعنى بشر الاشرار هو طلحة بن عبيد الله فان طلحة هذا والد ام اسحاق وهى جدة صاحب النفس ؟؟؟ ولماذا لم يكن المعنى بالفقرة عبــد العزى جده لامه فان ام صاحب النفس هند بنت ابى عبيدة بن عبد الله بن زمعة ابن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى وهذا عبد العزى من مشيخة كفرة قريش فى زمانه ؟؟؟ وبالوجدان ان الانتساب الى آباء الاب والام كليهما ابلغ فى مقام الافتخار من الانتساب الى آباء احدهما، وهل الخرص بارادة ابى طالب من تلك الجملة الا كالخرص بارادة طلحة وعبد العزى منها، اذاً فأى قرينة عينته دونهما اجيبونا يامنصفون

وهنا نناقش ابن ابي الحديد الحساب عــلى مابقى من شطط كلامه وغلطه الواضح فى مرامه أتقف فى صدره شهادة النفس الوهمية معللا ذلك بأن الشهادة هذه من ابنه ، ولا تقف فى صدره شهادة ابنــه الصلبي وهو افضل من صاحب النفس واجـل واعلا

منزلة منه ومحلا فى نفوس الامة بجملتها وقولا واحداً ،

يقول امير المؤمنين علي (ع) مامات ابو طالب حتى اعطى رسول الله (ص) من نفسه الرضا ، و يقول عليه السلام والذى بعث محمداً بالحق نبيا ان ابى لو شفع فى كل مذنب على وجه الارض لشفعه الله

وبديهى ان باب مدينة العلم (ع) اعرف بوالده فانه رآه وعاشره زمنا طويلا فوقف على حقيقة امره ، ومحمد صاحب النفس لم يره هو ولا ابوه ولا جده بل ولا ابو جده

تقف فى صدره الاسطورة ولا تقف فى صدره شهادة زين العابدين والصادقين الباقرين محمد وجعفر عليهما السلام وقد تقدمت شهاداتهم (ع) آنفا فى درء شبه حديث الضحضاح فراجع

وانت يارعاك الله تعالى اذا وقفت على قوله فى تقريب صحة الاسطورة (وعهده قريب من عهد النبى (ص) ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلا) ترى العجب فان من البين جلياً انه لو كان المناط فى وضع الاحاديث هو طول العهد عن عهد النبى (ص) لما وضعت ملايين الاخبار فى زمن ابن ابى سفيان كما اعترف به ابن ابي الحديد نفسه فراجع مانقلناه عنه آنفا تحت العنوان الرابع عشر ، ولكان افتعال الاخبار فى زمن العباسيين بناء على قاعدته التى ضربها اولى واجلى

ان بعض متأدبي هذا العصر ينظم ابن ابى الحديد فى سلك

الأماميه وانت ترى فى اعراضه عما ورد عن أئمتهم صحيحا فى ايمان ابى طالب وفى اختياره التوقف فى امره اكبر شاهد على فساد رأى ذلك المتأدب وخير دليل على مواربة ابن ابى الحديد لابي طالب وال ابي طالب وشيعتهم

وعلى اى حال فاننا لو اردنا مماشاة ابن ابى الحديد فى الموافقة على مايرتأيه من التعارض بين طائفتي الاخبار فاننا لا يسعنا ان نقف معه حيث وقف فى ايمان ابي طالب لان اكتشاف الحقيقة وتعرف الواقع غير منحصر فى السنة والا لطال وقوفنا فى كثير من الاحكام لدى التعـــارض

هذا كتاب الله وهو الحجة القاطعة لكل خصام لدى كل مسلم يهتف بنا قائلا (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنـــا) ومن المعلوم ان المراد بالسلم فى الايـــة هو السلام وكلاهما بمعنى الاستسلام كما نص على ذلك الزمخشرى فى كشافه فهو نظير قوله تعالى (والقوا الى الله يومئـــذ السلم) اى انهم استسلموا للامر وانقادوا اليه

واذا رجعت الى شعر ابى طالب محللا منه نفسيته ومستكشفا منه ميله وهواه لوجدته اصدق شاهد على استسلام شيخ الابطح وانقياده الى هذا الدين بل لوجدت روح الايمان الصادق تتجـــلى لك من خلال ابياته وتلوح لعينيك ظاهرة بين فجراته ومنعرجاته هذا شيخ الابطح ينشد بملء فيه مناديا

ياشاهد الله على فاشهد اني على دين النبي احمد

من ضل في الدين فاني مهتدى

حقا ان لم يكن هذا صريحا في الايمان فلا اقل انـــه صريح في القاء السلم كما لا يخفى

والا فما الذي حدا امنع الناس داراً واعزهم جواراً ان يهتف بهذا النداء ويشهد شاهد الله على مايقول سوى الانقيـــاد لمحمد (ص)

بهذا ونحوه يلزمك الكتاب المجيد بالاعتراف في ايمـــان ابى طالب ولا يدع لك مجالا للتوقف فيه، هذا كله على التنازل مع ابن ابي الحديد والافهاك صفحة من نفسية ابى طالب تقرأ فيها توحيده للخالق وايمانه بالمبدأ والمعاد واقراره بالعبودية له تعالى

يقول ابو طالب

مليك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدى المعيد

ومن تحت السماء له بحـــق ومن فوق السما له عبيـــد

وهاك الصفحة الاخرى في بيتين له آخرين تتلو فيهـــا اقراره برسالة محمد (ص) من لدن جبار السماوات والارض

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع الـــبروق

اذب واحمى رســـول الاله حمايـــة حام عليه شفيـــق

هذه الابيات الاربع تكفلت بتحليل نفسيته فصورته لنا موحدا مؤمنابالله ورسوله واليوم الاخر

واليك ايضا مايدلك صريحا على ايمانه بكتاب الله المنزل على نبيه المرسل حيث يقول

انت الرسول رسول الله نعلمه عليك نزل من ذى العزة الكتب

ففى هذه الابيات مايكفى لافلاج حجة الخصم واقامة الحجة عليه فيما تمحل له من التشكيك فى ايمان شيخ الابطح سيما وان الايمان عند الخصم لايتوقف على لفظ خاص كقول (لااله الا الله محمد رسول الله) بل ان المعروف من طريقته اثبات الايمان بكل لفظ يدل على الشهادة بالتوحيد والرسالة وان لم يكن بتلك الصيغة الخاصة بل وان لم يكن باللغة العربية كما يرشدك الى ذلك ماحكاه العلامة الدحلانى فى اسناه ص ٥ نقلا عن السيد محمد البرزنجى قال ثم ليعلم ان المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصها كما ذكر النووى فى الروضة ونسبه الى الجميع فنقل عن الحليمى فى منهاجه انه لاخلاف ان الايمان ينعقد بغير القول المعروف وهو كلمة لااله الا الله حتى لو قال لااله الا الرحمن او الا الرحيم اوما من اله الا الله وكذا لو قال محمد نبى الله او مبعوثه او احمد مبعوثه اوغير ذلك اوما يؤدى ذلك باللغات العجمية صح اسلامه وحكم بكونه مسلما انتهى

ومن هنا يمكنك ان تستنتج ان القوم لايفرقون فى الاقرار بالشهادتين بين النظم والنثر كما هو الحق

ان شعر ابي طالب فى هذا الباب كثير وكثير جدا فمن ذلك قوله

لقد علموا ان ابننا لامكذب　　لدينا ولا نعبا بقول الاباطل

وقوله

الم تعلموا انا وجدنا محمداً　　نبيا كموسى صح ذلك فى الكتب

وقوله

انت ابن آمنة النبى محمد　　عندى بمثل منازل الاولاد

وقوله

والله لااخذل النبى ولا　　يخذله من بنى ذو حسب

وقوله

نبى اتاه الوحى من عند ربه　　ومن قال لا يقرع بها سن نادم

وقوله

انت النبى محمد　　قرم اغر مسود

وقوله

الا ان احمد قد جاءهم　　بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله فى ابيات

او يؤمنوا بكتاب منزل عجب　　على نبى كموسى او كذى النون

وقوله يخاطب النجاشى كتباً

اتعلم ملك الحبش ان محمداً　　نبى كموسى والمسيح بن مريم

اتى بهدى مثل الذى اتيا به وكل بأمر الله يهدى و يعصم (١)
وانكم تتلونه فى كتابكم بصدق حديث لاحديث الترجم
فلا تجعلوا لله نداً واسلموا وان طريق الحق ليس بمظلم

يدين ابو طالب بدين الحق ويعترف لدى محكمة الضمير بأن محمداً كموسى و كالمسيح بن مريم قد صدع بأمر الله تعالى يهدى الى الصراط السوى يدين بذلك كله عن اجتهاد ومعرفة ولذا اهل نفسه لان يكون كمبشر دينى يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويدعم الدعوى بالحجة ، ففى اول كلامه مع ملك الحبشة استعلم حاله فقال اتعلم ان محمدا كموسى والمسيح ولما كان ذلك دعوى مجردة والدعوى لاتقبل بدون برهان وسيما مثل هذه الدعوى ادلى بحجته فى البيت الثالث فقال له ايها الملك انكم اهل دين وكتاب سماوى وكتابكم هذا اكبر شاهد على ماأقول فى شأن محمد (ص) وما انتم تتلونه فى المساء وفى البكور ، ذلك الكتاب الذى لاريب فى صدق حديثه عندكم وبعد ان الزمه الحجة دعاه الى الطريق اللاحب فقال (ولا تجعلوا لله نداً) البيت

وقوله يخاطب النبى (ص)

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا

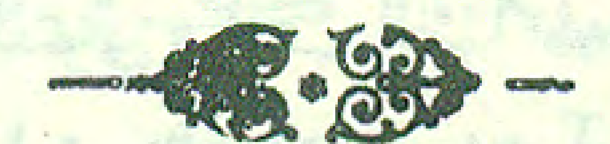
---

(١) هكذا

ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم امينا
ولقد علمت بأن دين محمـــد من خير اديان البرية دينا

يبتدىء ابو طالب كلامه مع النبي (ص) بيمين الاخلاص لعرش النبوة بحماس شديد (والله لن يصلوا اليك بجمعهم) البيت، ثم يطلب منه (ص) نشر لواء النبوة على ربوع الحجاز (فاصدع بأمرك) ويشجعه على ذلك طوراً بنفي المخافة وتارة بتعهده بذلك (وابشر بذاك وقر منك عيوناً) ثم يجيب نداء المبعوث بالحق للخلق كافة، فيشهد عن علم جازم ويقين ثابت بأن دين محمد (ص) خير دين اخرج للناس (ودعوتني وعلمت انك صادق) الى آخر البيتين

ان فيما ذكرنا من منظومه في هذا الباب مايميط جلباب الظلام عن وجه هذه المشكلة ولئن شكك مشكك في بعض مانقلناه من المنظوم ففيما صحت روايته عنه (ع) عند الفريقين كفاية وقـــد ذكرنا تحت عنوان شعره ماصحت روايته عند الجميع فراجع





كلمة الختام

تستوضح فيها تحامل القوم على ابى طالب

١٦

طالما حملنا الخصم على احسن المحامل وانتحلنا له اعذاراً بقدر الامكان حتى لم يبق فى القوس منزع ولا للحمل على الصحة موضع ذلك لما نشاهده من اختلاف احواله وتناقض اطواره

يتشبث بما هو اوهى من بيت العنكبوت وبأخبار حلمية ليثبت النجاة تارة والايمان اخرى لكل قاسط عاهر، ومارق، ما كر، وفاجر كافر، فاذا ذكرت له ابا طالب انعكست القضية وتغير المنحى وانقلب الامر رأساً على عقب ولذا تراه يستمسك باخبار الضعاف والكذبة لاثبات كفره والعياذ بالله، ويرشدك الى مانقول ما فى ضياء العالمين

يقول المحقق الفتوني صاحب الضياء ذهب جمع الى ان قاتل عمار بن ياسر فى الجنة، ذلك لان رجلا رآهما فى المنام معا فى الجنة فى حين ان النص الصحيح الصريح عندنا وعندهم قد ورد عن النبي (ص) قائلا ان قاتل عمار فى النار، وبتلك النغمة جاءنا جمع منهم ايضا فقالوا ان قتلى القاسطين فى صفين وقتلى المارقين فى النهر وان فى الجنة ذلك لرؤيا رآها شرحبيل بن السمط عامل



معاوية على حمص وشريك بسر بن ارطات وابى الاعور السلمى فى اعمالها ومنا كيرهما فى توطيد دعائم ملك معاوية وقد ذكر ذلك الاستيعاب فى ترجمة شرحبيل وهذا القدر يكفى فى تعريف شرحبيل .

يقولون قال شرحبيل رأيت فى المنام عمار بن ياسر وذا الكلاع — الذى قتله اصحاب على (ع) — فى ثياب بيض فى افنية الجنة فقلت الم يقتل بعضكم بعضا فقالا بلى ولكن وجدنا الله واسع المغفرة ، فقلت مافعل اهل النهروان — يعنى الخوارج — فقيل لى لقوا ترجاة

ولقد اغرب فريق منهم فذهب الى ايمان فرعون حيث قال وقد ادركه الغرق (آمنت ان لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل) والحال ان صريح القرآن يرده (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين)

ومن ذلك قولهم ان حاتم الطائي يدخل النار لكفره لكن لايعذب مطلقا لجوده وان كسرى انو شروان لايعذب لعدله .

هذا هو المعروف من حالهم ، فاذا عرجت بهم على ابي طالب قالوا هو فى ضحضاح من نار تغلى منه ام رأسه . يا سبحان الله اترى ان كسرى ينفعه عدله وحاتم يدفع عنه العذاب جوده ولا تنفع ابا طالب قرابته القريبة من الشفيع محمد (ص) ، ولا يغني عنه جهاده

بين يديه ، وذبه عنه ، وتعريضه اولاده للقتل دونه ومدائحه له ونعمائه عليه مدة حياته و و و الى اخر ماهنالك وليت شعري كيف يكون ابو طالب والحالة هذه اسوأ حالا من حاتم وكسرى فى حين ان لكل واحد منهما خصلة واحدة نظير العدل والجود مثلا تكفل النجاة حسب المدعى ولا يكون نظير ذلك لأبى طالب وهو الذى له الخصال الحميدة التى لاتحصى اترى يجوز عقلا او ينطبق على قاعدة منطقا ان يكون ابو طالب طول حياته مع النبى (ص) على حالته التى عرفتها من جلاد وجهاد باليد والقلب واللسان وبذل كل عدة وعتاد بين يديه (ص) ثم تكون نتيجة اعماله هذه مع النبي الكريم ان يترقب فرصة موت ذلك العم البار ليجعل اجر احسانه وجزاء بره وحنانه ذمه وقدحه من جملة سنته ، تخبر الناس تارة انه جمرة من جمرات جهنم وطوراً انه فى ضحضاح من نار تغلى منه ام دماغه الى غير ذلك

هبوا ان ابا طالب والعياذ بالله كما تزعمون فهل جزاء الاحسان الا الاحسان ، وبأى الاء ابى طالب تكذبان

اين اداء حق ابى طالب اين اجر حياطته اين ذكر مودته اين وضع ذلك كله ابو طالب اتراه وضعه فى غير محله فذهب ادراج الرياح وجوزى بالسوأى عن الاحسان كلا ثم كلا

اليس النبى (ص) هو القائل لاتؤذوا الاحياء بسبب الاموات

ولما اخبرته بنت ابي لهب ان الناس يقولون لها بنت حطب النار قام مغضبا وقال (١) مابال اقوام يؤذونني في قرابتي من اذى قرابتي فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله تعالى افكان ابو طالب اشر من ابي لهب فغضب النبي لابي لهب لقول الناس فيه حطب النار، ولا يتحاشى هو من ان يحدث الناس بأن ابا طالب جمرة من جمرات جهنم او كانت بنت ابي لهب اغير على ابيها من علي (ع) وجعفر وعقيل او كانت هي اجل منهم واعز مكانة عند النبي (ص)

ايها الخصوم لم نر النبي (ص) بالغ في ذم احد من مردة قريش وكفرتها بعد موت احدهم حتى الاعـــداء الالداء الذين حاربوه والجموه بجملة من ذوي رحمه واذا فما قولكم فيما تدعونه وتروونه عن النبي (ص) من الذم والطعن في ابي طالب ولست ادرى كيف صارت محامد ابي طالب اسوأ حالا من مخازي كفرة قريش وعليه فها انا استفتي الخصوم في ذلك فما يقولون

والعجب مارأيته من الخصوم تضافرهم في المراوغة عن طريق الحق، نذكر لهم مغامرة معاوية في الدين وولوغه في دماء المسلمين وقيامه على علي (ع) ظالما له، ونذكرهم ببوائق يزيد واحداثـــه في الدين وتهتكه بمرأى ومسمع من كافة المسلمين، فيقولون ان تلك الاحوال غابت عنا وبعدت اخبارها عن حسناتها فلا يليق بنا ان

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي، الاسنى ٢٣

نخوض فى دقائق امور الملك واحوال بنى عمه ، لكن هــلم فاسمع اللغط والغلط والهرج والهذيان وتسطير الاساطير التى ما انزل الله بها من سلطان عندما تلقى عليهم طرفا من المــذاكرة فى شأن ابي طالب عم النبي (ص) او شأن والده (ص) او امه حيث ترى منهم من يقول ماتوا كفارا وآخرين يقولون اولئك جمرات جهــنم ، واحدهم يقول ابو طالب مات على الكفر والضلالة ، واخر يقول نعم ابو طالب فى ضحضاح من نار ، واخر ينادى رسالة النفس رسالة النفس تشهد بكفره وهكذا تأتي نغماتهم متساوية التوقيع على اوتار الاهواء ، فى هذا المقام اعرضوا عن قاعدتهم التى ضربوهــا — قبح الخوض فى دقائق امور الملك واحوال ذوى رحمه — هكذا نرى منهم التناقض فى القول والعمل والمراوغة البينة بدون خجل

ايقبح من الرعية الخوض فى احوال ابناء عم الملك الذين مازالوا منذ كانوا يبغون الغوائل ويريدون النوازل فى المــلك ويعملون ليلهم ونهارهم على محق قانونه من اصله ولا يقبح الخوض فى احوال والد الملك ووالدته وعمه الذى بذل كلما فى وسعه فى حماية الملك من اعدائه وسعى سعيه الذى به انتشر قانونه فى الافاق نعوذ بالله من سبات العقل واتباع الهوى

وخذ لك مثلا حب البعض منهم البقاء على الجهل مشيا مع سياستهم الزمنية لتعلم ان القوم بجملة صنوفهم فى معزل عن

الحقيقة ذلك ما حصل للوزير يحي بن هبيرة مع ابي الفوارس يقول
ابو الفوارس الشاعر حضرت مجلس الوزير يحي بن هبيرة ومعي
يومئذ جماعة من الاماثل واهل العلم منهم الشيخ ابو الفرج بن
الجوزي وابو محمد الخشاب اللغوي وغيرهما فجرى حديث شعر ابي
طالب فقال الوزير ما احسن شعره لو كان صدر عن ايمان فقلت في
نفسي واالله لاجيبنه بالجواب قربة الى الله تعالى ، فقلت له يا مولاي
ومن اين لك انه لم يصدر عن ايمان ، فقال لو صدر عن ايمان لكان
اظهره ولم يخفه فقلت لو اظهره لم يكن للنبي (ص) ناصر فسكت
ولم يحر جوابا ، وكان لي عليه رسوم فقطعها من ذلك اليوم وكان لي
فيه مدائح مسودات فغسلتها جميعا

انظر الى حالة معالي الوزير والى حبه البقاء على الجهل حيث لم
يرتض الجواب بل سكت واجما مضمراً لابي الفوارس السوء كما
فعل ، فلو انه اراد الحقيقة لافسح لابي الفوارس المجال في الكلام
ولتبادلاه مليا ولاكثرا فيه البحث والتنقيب كلما لم يقتنع حتى يقع
على كبد الحقيقة فانها بنت البحث ، لكن ما العمل (انلزمكموها
وانتم لها كارهون) فانا لله وانا اليه راجعون

هذا ما اردنا بيانه وقد تم تسويده في النجف الاشرف على
مشرفها الاف التحية والسلام في السادس من ربيع الاول

عصر الجمعة سنة ١٣٤٩ هـ على يد مؤلفه الفقير الى

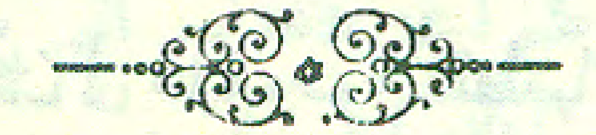
مغفرة ربه الغني محمد على شرف الدين الموسوى

العاملي غفر الله له ولوالديه والحمد لله اولا

واخراً وصلى الله على سيد المرسلين

محمد وآله الاطيبين وسلم تسليما

كثيرا







بنیاد محقق طباطبایی